مصطفى محمود

مفكر حائر يباشر الحياة



سمية عبد الحليم عويس

إهـــــــــداء ٢٠١١

دار الكتب و الوثائق القومية

جمهورية مصر العربية

مصطفى محمود

مفكر حائر .. يباشر الحياة

سمية عبد الحليم عويس

٢٠١١

الكتاب : مصطفى محمود

المؤلف : سمية عبد الحليم عويس

النوع : فكر

الصفحات : ٩٢صفحة

المقاس : ١٤ × ١٩سم

الطبعة : الأولى ـــ القاهرة ٢٠١١

الغلاف : إهداء من الشاعر حسن حامد

المراجعة اللغوية : بوب بروف

رقم الإيداع : 2011/3039

الترقيم الدولى : 6-704-374-977-978

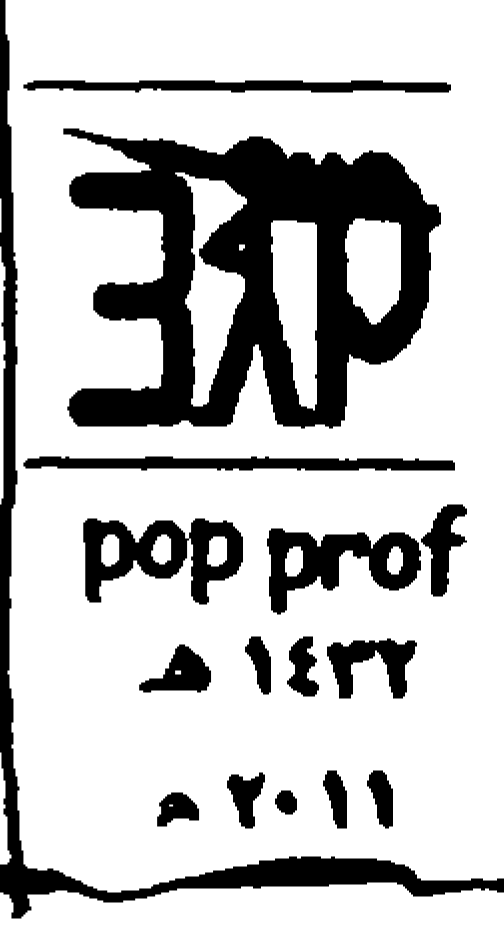
الناشر : دار بوب بروفيشنال برس ـــ ثرى بى

pop professional press (3p)

بالتعاون مع دار الإسلام للطباعة والنشر

ت : ٠١٠١٧٨٩٨٢٧ ـــ ٠١٢٥٠٥٨٦٥٥

popprof@ymail.com



الإهداء

كثيرون هم المفكرون ، لكنّ القليل منهم من يفتش على حجارة الأرض الصلبة بأنامله ليخرج آثار العظمة وآيات الإبداع .

وقد كان الدكتور مصطفى محمود واحداً من أبرز المبدعين الذين حفروا بأقلامهم سطوراً بارزة في كتاب الإسلام وصفحات العلم والإيمان .

لذا دعني يا سيدي الطبيب والفيلسوف والداعية أنحني لروحك الخالدة حباً وإجلالاً وتقديراً . تاركة لقلمي العنان في كتابة صفحات أرجو من الله أن تبلغ بعض حقك علينا . نحن الأجيال التي تربت على يديك ونهلت من وافر عملك ومعين جهدك . داعية الخالق العظيم أن تستقر روحك وتهدأ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، بعد حيرة العمر ومعارك السنين ، طالبةً بكل كلمة أخطها إحقاق الحق وإثبات إيمانك ونصرتك لدينك وأمتك بعد أن ظلمك الكثيرون .

الكاتبة

مقدمة

هو المفكر والأديب والطبيب والرحالة والفيلسوف والداعية الإسلامي الكبير صاحب التسعين كتاباً في الدين والعلم والفلسفة والاجتماع والسياسة .. وصاحب أربعمائة حلقة تليفزيونية من البرنامج الأشهر على الإطلاق (العلم والإيمان) ، ورائد العمل الاجتماعي والخيري (جمعية محمود) التي أسسها في سبعينيات القرن الماضي والتي تضم الآن خمسة مراكز طبية ، وتعد من أكبر المراكز الخيرية .

ولعل كل هذه الأمجاد كانت حصاداً لتاريخ حافل من الأحلام والكفاحات المتصلة منذ نعومة أظفار بطلنا ، بل إن مواهب هذا البطل قد ظهرت منذ طفولته المبكرة حين كان يجتمع مع أبناء الجيران في طنطا فيبرز كل منهم مواهبه الخاصة في (بير السلم) ، ويبدأ مصطفى محمود في الغناء وتلاوة القرآن بصوت الشيخ محمد رفعت رحمه الله ، ولا يكتفي بذلك بل يبدأ بقص حكاية من وحي خياله ، حيث كان مطلوباً من كل طفل أن يحكي قصة من بنات أفكاره ، وكانت حكاية مصطفى محمود هي التي تفوز دائماً وتكون مكافأته نظرة ملؤها الحب والإعجاب من (عدلية) بنت الجيران (حبيبة القلب) !! .

ولأنه وكما يقول العارفون (قد تأتي المنحة في ثوب المحنة) فقد مرض بطلنا في صغره مرضاً عنيفاً جعله يرسب ثلاث سنوات في السنة الأولى الابتدائية ، وتركه الأهل على حاله دون تغليظ أو تعنيف ، وحُرم ــ بسبب مرضه ــ من اللعب العنيف والانطلاق الذي يتمتع به الأطفال .. فكانت طفولته كلها أحلام وخيال وانطواء .. وكانت جُلّ أحلامه أن يصبح مخترعاً عظيماً أو مكتشفاً أو رحالة أو عالماً مشهوراً ، وكانت النماذج التي يحلم بها هي كروستوفر كولومبس وأديسون وماركوني وباستير .

وبسبب المرض الذي لازم مصطفى محمود في طفولته صمم على أن يدخل كلية الطب ليعرف أسرار المرض وعلاجه ، وليدرس أعقد ظاهرة في هذا الوجـــود .. ذلك الإنسان !! .

ولهذا أحب الطب وعشق المشرحة .. فكان أول طالب يدخل المشرحة وآخر من يغادرها حتى لقب بـــ (المشرحجي) ! .

وبعد هذا توالت الإنجازات والنجاحات مع مرور السنوات وتقدم العمر !.

***

الفصل الأول

سيرة ذاتية

(١) النسب والمولد والنشأة

(٢) رحلة في سبيل المعرفة

(١) النسب والمولد والنشأة

- النسب

هو مصطفى كمال محمود حسين آل محفوظ من الأشراف ، ينتهي نسبه إلى علي زين العابدين رضي الله عنه ، وهو ما تثبته شهادة نسب معلقة على جدران منزله المتواضع الأثاث .

المولد

وُلد مع توأمه بعد سبعة أشهر فقط من الحمل في (٢٠ ديسمبر١٩٢١) ومعنى ذلك أنه من برج القوس وهو نفس برج كاتبنا الكبير (نجيب محفوظ) .

وقد ضرب له أحد المنجمين النجم وأجرى له الحسابات الفلكية وتنبأ بما سيحدث لمصطفى محمود على مدى عشرين عاماً .. تنبأ له بكل الوقائع التي حدثت له وفي تواريخها ، وكان مصطفى محمود يضرب كفاً بكف ونبوءات هذا المنجم تتحقق تماماً كما ذكرها .. حتى العمليات الجراحية التي تنبأ بها هذا المنجم تحققت في تواريخها تماماً .. (وكذب المنجمون ولو صدقوا) .

النشأة

عاش في مدينة طنطا في جوار مسجد السيد البدوي الشهير الذي يُعد أحد المزارات الصوفية الشهيرة في مصر .. ولعل هذا ما جعل التصوف يترك عليه مسحة امتدت معه طوال حياته .. يقول عن نفسه رحمه الله : الحياة في طنطا في جوار السيد البدوي وحضور حلقات الذكر والمولد والناي ومذاق [القراقيش] وابتهالات المتصوفة والدراويش .. كان لها أثر في تكويني الفني والنفسي .

اخترت دراسة الطب وشعرت ساعتها أنها ترضي فضولي وتطلعي إلى العلم ومعرفة الأسرار ، وكانت الدراسة صعبة وتحتاج إلى إرادة وتركيز ونوع من

الانقطاع والرهبانية .. واحتاج الأمر مني إلى عزم وترويض ومعاناة .. وكان حبي للعلم وطموحي يساعدني .. وكانت صحتي الضعيفة تخذلني وبدني المعتل يضطرني إلى الاعتكاف من وقت لآخر في الفراش .. وفي السنة الثالثة طب احتاج الأمر إلى علاج بالمستشفى سنتين ، وأدى هذا الانقطاع الطويل إلى تطور إيجابي في شخصيتي إذ عكفت طوال هذه المدة على القراءة والتفكير في موضوعات أدبية .. وفي هاتين السنتين تكونت في داخلي شخصية المفكر المتأمل ووُلد الكاتب الأديب .

وحينما عدت إلى دراسة الطب بعد شفائي كنت قد أصبحت شخصاً آخر .. أصبحت الفنان الذي يفكر ويحلم ويقرأ ويطالع بانتظام أمهات كتب الأدب والمسرح والرواية .. وتطورت الهواية الجديدة وتحولت إلى احتراف وكتابة منتظمة في الصحف في السنوات النهائية بكلية الطب ، واحتاج الأمر وقتاً مضاعفاً لكي أنجح وأتخرج .. وحينما تخرجت في سنة (١٩٥٣) كان زملائي قد سبقوني في التخرج بسنتين وثلاث ولكني كنت ترسخت في الكتابة في مجلتي (التحرير وروز اليوسف) ، وأستطيع القول بأن المرض والمعاناة والعزلة الطويلة في غرف المستشفيات قد فجرت مواهبي .

وكان الألم الأب الحقيقي والباعث لكل هذه الإيجابيات والمكاسب التي كسبتها كإنسان وفنان أديب ومفكر .. بل صقل الألم أيضاً أخلاقي وجلا معدن نفسي وفجّر الحس الديني في داخلي وكان أداة تنوير وصحوة وتذكير بالله .

***

(٢) رحلة في سبيل المعرفة

كانت حياة المفكر الراحل الدكتور مصطفى محمود هجرة مستمرة نحو إدراك الحياة والبحث عن الحقيقة ، فكان كل كتاب من كتبه محطة على طريق هذا السفر الطويل ، في مرات عديدة هاجر بروحه في الأفكار والمؤلفات والفلسفات والأديان والمذاهب ، ومرات أخرى هاجر بروحه وجسده إلى أنحاء متفرقة من العالم في محاولات مستميتة لاستكشاف الحقيقة ، وحقيقة الإنسان والحياة والموت وخبايا المجتمعات وعقول الناس وعادات الشعوب ، كان يحلم منذ طفولته بأن يصبح (طرزان) يتنقل في الغابات الاستوائية ، وذلك نتيجة لمشاهداته المستمرة والمعتادة لروايات (طرزان والسندريللا) في أفلام السينما وعشقه لقصص السندباد وروبنسون كروزو ، وكيف حطم مركبه ليعيش في الغابات بين القرود والحيوانات كل هذا جعله يتوق شوقاً إلى زيارة هذه الغابات الإستوائية التي رأى صورها في (رابعة ثانوي) في كتالوج كبير للجغرافيا عن الغابات الاستوائية ، وتصفح هذا الكتاب الكبير وقرأ عن أفريقيا ، وبصفة خاصة جنوب السودان ونيجيريا وتنجانيقا ، ونزع صور القرود والحيوانات الأفريقية ليزيد بها حجرته بدلاً من صور كبار الفنانين والمطربين ونجوم الكرة ! [1]

أولاً : الهجرة إلى الخارج (خارج الوطن)

يقول مصطفى محمود عن نفسه :

(كانت حياتي رحلات مستمرة بدأتها برحلة إلى الغابات الاستوائية في تنجانيقا حين اختارني الكاتب الأديب يوسف السباعي ، وكان أيامها سكرتير المؤتمر الأسيوي الأفريقي من ضمن الكُتاب المسافرين ، ونسيت كل الصعـــوبات التي

---

(١) اعترافات مصطفى محمود الأستاذ/محمد فوزي . دار النشر هاتييه ص ٧٠ ، ٧١

واجهتني في سبيل السفر حين وصلت إلى أفريقيا ، وانطلقت لأحقق ما أصبو إليه من الرؤية والبحث والتنقيب عن أسرار أفريقيا التي كثيراً ما قرأتُ عنها ، وحاول يوسف السباعي أن يدعوني إلى متابعة جلسات المؤتمر ولكن هيهات ، فهذه فرصة العمر التي كنت أنتظرها للانطلاق نحو الغابات.

وفي تنجانيقا صعدت جبل (كليمنجارو) ذلك الجبل الغريب الذي تتوافر فيه جميع فصول العام ، فحتى الثلوج تجدها فوق هذا الجبل ، وكلما صعدتَ تدريجياً تتغير أنواع النباتات التي تقابلك ، فهذا الجبل في حد ذاته يمثل متحفاً من الطبيعة الرائعة .

وظللت في أفريقيا بعد المؤتمر وواصلت رحلتي نحو جنوب السودان ، وكان وقتها ينعم بالسلام ولم يعرف شرور الحرب بعد ، وقوبلتُ هناك بكل حفاوة وتقدير ، ووصلت إلى جوبا في جنوب السودان ثم إلى الأحراش وعشت شهرين من أمتع ما عشت في حياتي وسط قبيلة (نيام نيام) ، وعرض عليّ زعيم القبيلة الذي كان متزوجاً من خمسين امرأة أن أتزوج أربعة من بناته فأصبت بالرعب ، إذ كيف أعول أربع سيدات مرة واحدة ، فقال لي : لا تقلق فالرجل في قبيلتنا لا يعمل ولكن المرأة التي تقوم بالنيابة عنه بذلك ، إن الرجل هنا يقتصر دوره على الجلوس تحت شجرة ليدخن بينما نساؤه يعملن ليوفرن له العيش والحياة الكريمة والرفاهية ! ، بل الأغرب من ذلك أن المرأة تطلب من زوجها أن يتزوج عليها من أخرى لتساعدها في الأعمال الشاقة التي تقوم بها من أجل عيون الرجل الذي لا عمل له إلا أن يدخن).

وقام برحلات أخرى منها رحلته إلى الصحراء الكبرى حيث التقى هناك بقبيلة (الطوارق) في ليبيا والجزائر والنيجر ، تلك القبيلة الغريبة ، حيث تجد الرجال محجبين والنساء سافرات ، فالحجاب على وجه الرجل عندهم ، نوع من الإخفاء والتمويه والتنكر في الحروب ، وهذا ما زعموا ، أما الصحيح فهو أن ديانات هذه

القبائل تعتبر الفم عورة ، لأن الفم هو الذي يخرج منه الخير والشر معاً ، فترى الرجل يفتخر قائلاً : لقد عشتُ مع زوجتي خمسين عاماً ولم ترَ فمي !!.

يقول مصطفى محمود :

(ولقد قابلت في هذه القبيلة امرأة مُسنة تحفظ القرآن الكريم كاملاً ، رغم أن الإسلام لم يصل إلى هذه القبائل ، فهم وثنيون ، ولكن من الغريب أنهم حين يشرفون على الموت ويودعون الحياة يرفعون إصبعاً واحداً إمعاناً وإشارة إلى الخالق الواحد القهار !.

ومن غرائب هذه القبيلة أن الرجل لا يتناول إلا وجبة واحدة في اليوم ولا يشرب إلا لبن النوق المُعتّق ، ورغم ذلك تجده مثل الرمح القوي صحة ونشاطاً وحيوية .

رحلاتي الأخرى إلى عواصم أوروبا وأمريكا ، فزرت ألمانيا التي يتم كل شيء فيها وفقاً لجدول وبرنامج وحصص محددة ، فهي مليئة بالمصانع ، وشعبها دقيق ومنظم جداً .

وبلغتُ إيطاليا ، وكانت الشوارع في روما ضيقة والبيوت كالحة والوجوه مصفرة شاحبة والنساء يتكلمن كثيراً ويحركن أيديهن كما تفعل نساء (بولاق) والشحاذون في كل مكان ، والتماثيل في كل شارع وزقاق وميدان ، وكل آثار الفن الخالدة في روما أقامتها تبرعات من جميع أرجاء أوروبا بدعوة من البابا ومن أجل المسيح ، إن الفن والدين سبيكة واحدة هناك .

وفي باريس كل شيء يُعرض بلغة الجسم العاري ، إعلانات القمصان ، إعلانات العطور ، الدعايات السياسية ، آخر دواء منوم ، حتى طوابع البريد !، واهتمام الفرنسيين بالأجساد العارية على المسارح ليس اهتماماً منبعه الحرمان ولا الفضول فالاختلاط في باريس هو القاعدة والعلاقات ميسورة . وإنما منبعه فلسفة باريسية

اسمها (فلسفة الجسم العاري) ، فالجسم العاري هناك فلسفة فنية مثل الأدب والموسيقى ، فهو سلعة لاجتذاب أموال السائح الشرقي .

والفرنسيون يعطون آذانهم للصهيونية ، وعلينا أن نضاعف العمل والنشاط لنكسب هذه الآذان إلى صفنا .

وفي لندن تكتشف أن الحضارة المادية انتصرت في أوروبا ، ففكرة (الله) لا وجود لها بالنسبة للعقلية الغربية ، والأمر يستدعي نزول المسيح شخصياً ليمشي على الماء أمام مائة مليون أوروبي ليبدأ الأوروبي يفكر بطريقة مختلفة ، وربما لو فعل لاستبَقت ملايين الأيدي لصلبه من جديد !.

ومنذ ١٢ سنة كتبت في كتابي (الله والإنسان) أننا مازلنا نفهم الشرف في بلادنا الشرقية بمفهوم ضيق جداً ، إن معنى الشرف لا ينحصر في المعنى الجنسي وإنما هو يشمل أيضاً شرف الكلمة وشرف العمل وشرف المسئولية ويشمل نظافة الجسد ونظافة اليد ونظافة القلب .

وفي نيويورك (أمريكا) ، اليومُ يحتوي مجموعَ نشاط شهر بخطوتنا الهينة اللينة البطيئة ، والبنايات الجديدة تشق طريقها إلى السماء لتنطح السحاب في أيام معدودة ، والميكنة والتكنولوجيا والكمبيوتر والأزرار توجه كل شيء ، والشركات الصناعية الخاصة تبني المدارس وترصف الطرق وتنشئ المستشفيات وتبني السكك الحديدية وتضع خطوط المترو على حسابها ، ومع كل هذا قد يجتمع العلم مع الخرافة حين تجد رقم (١٣) غير موجود في المِصعد بسبب التشاؤم من ذلك الرقم ! ، فكيف يجتمع في وقت واحد أحدث ما ابتكرته أذهان العصر من علوم الذَرة والكهرباء والفضاء والإلكترونيات ، مع الشعوذة والسِحر والأشباح والتنجيم والفنجان والكف !.

وفي أميركا وبرغم كثرة الجرائم وحوداث القتل والسرقة والخطف ، فإن النظرة سوف تختلف إذ أدخلنا في الاعتبار أننا في رقعة جغرافية تحتوي على خمسين ولاية ، كل ولاية تعادل في مساحتها بلداً عربياً ثم تشتمل على أقصى درجات الاختلاف في المُناخ والجو والمحصول والناس ، أسودهم وأبيضهم ، وتشتمل على كل الأديان والعقائد والملل والنحل والفقر والغنى ، ورغم كل هذه الأخلاط المختلفة تقوم أمة مؤتلفة تتفاهم مع بعضها البعض بدون حرب .

وقد استطاعت هذه الولايات الأمريكية المختلفة في الألوان والأديان واللغات واللهجات والعادات أن تتفاهم فيما بينها بأكثر مما استطعنا نحن أن نتفاهم ، نحن أبناء اللغة الواحدة والدين الواحد ، ولاشك أن المسألة في النهاية مسألة تقدم.

وأقصد بالتقدم هنا القدرة على التفاهم وتحكيم العقل في حسم الخلاف والقدرة على النظرة الموضوعية الهادئة دون انفعال ، والقدرة على الاستبصار والنظر في العواقب وتغليب العقل على العاطفة والتخطيط على الارتجال والتفكير على الهتاف . وتلك هي صفات المجموعة المتحضرة وحظنا من ذلك قليل وحظهم كبير.

إن أصدق تعريف للحضارة هو القدرة على التفاهم بين المختلفين ، والقدرة على تجاوز التناقضات في المواقف والآراء والأمزجة وتغليب الإنسانية والحكمة ، وإنما تأتي حكاية التقدم العلمي والتكنولوجي كنتيجة لهذه الصفة : صفة تغليب الحكمة والفكر) .

كما سافر مصطفى محمود إلى اليونان وكندا وبعض البلاد العربية كالمغرب والجزائر ولبنان وسوريا والسعودية .

ثانياً : الهجرة داخل نفسه الحائرة

يقول الدكتور مصطفى محمود :

(كانت لي رحلة أخرى داخل نفسي ركبت فيها سفينة العلم والمعرفة والفلسفة والدين ، بدءاً من زرادشت وبوذا وانتهاء بموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، حيث وجدت بين صفحات القرآن قراري ومسكني وراحتي ، وحيث ألقيت عصا الترحال وأدمنت الفكر والتأمل وعاشرت الفقهاء والعلماء والصوفية ووجدت القرآن بحراً تلتقي فيه كل روافد المعرفة ، وكانت لي خمسة كتب في نقد الفكر الماركسي ، أكذوبة اليسار الإسلامي والماركسية والإسلام ولماذا رفضت الماركسية والمسيح الدجال وسقوط اليسار ، وكانت عندي قناعة ثابتة بأن الماركسية كانت إحدى معاول تدمير الحضارة الحالية ، وأسوأ من ذلك كانت الأداة التي خلقت الإنسان الحاقد الرافض والمخرب .

انتصاراتي على نفسي هي أهم انتصارات حياتي ، وكانت دائماً بفضل الله وبالقوة التي أمدني بها وبالبصيرة والنور الذي نوّر به طريقي ، وبالقدوة الصالحة التي أخذتها من الأب ومن الأم ومن البيت الطيب الذي نشأت فيه .

كانت حياتي الأدبية في ثلاثين عاماً وعبر ٥٦ كتاباً هجرة مستمرة نحو إدراك الحياة والبحث عن الحقيقة) .

إن أهم أحلام الدكتور مصطفى محمود كانت المعرفة والوصول إلى شاطئ الحقيقة واليقين ، وهي عملية صعبة شاقة ، بل هي محور الفلسفة كلها في مختلف العصور .

في شبابه كان تيار المادية هو السائد ، وكان الكثير من المثقفين يرفضون الغيبيات ، فكان من الطبيعي أن يتأثر مصطفى محمود بمن حوله ، وكانت المشكلة الفلسفية التي تؤرقه هي مشكلة الدين والحضارة أو العلم والإيمان وما بينهما من صراع متبادل أو تجاذب ، مع أنهما في الحقيقة متلازمان متكاملان .

وكما حدث مع حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في الأشهر الستة التي قضاها مريضاً يعاني من آلام الشك حتى هتف به هاتف أعاده إلى اليقين ومكنه من المعرفة الحقة لله سبحانه وتعالى ، يقول مصطفى محمود عن ذلك في أحد كتبه : (احتاج الأمر إلى ثلاثين سنة من الغرق في الكتب وآلاف الليالي من الخلوة والتأمل لأقطع الطريق إلى الله والإنسان ، إلى لغز الحياة والموت ، إلى ما أكتب اليوم على درب اليقين .

كان موقفي من المسلمات الدينية هو موقف الشك والمناقشة حتى اتضح لي عجز الفكر العلمي المادي عن أن يقدم تفسيراً مقنعاً للحياة والموت والإنسان والتاريخ ، وفي هذه المرحلة وقفت أمام الموت منكراً ومستنكراً أن يكون الإنسان هو هذه الجثة التي أراها أمامي ، وأنه هو مجموعة عناصر الكربون والأيدروجين والأوكسجين والنحاس والحديد والكبريت الكوبالت والمنجنيز ، إلى آخر العناصر العشرين التي تتألف منها طينتنا وترابنا ، لا .. لا يمكن أن يكون الإنسان هو مجرد هذه الأحشاء الملفوفة في قرطاس من الجلد ، وإنما الحقيقة الإنسانية يجب أن تكون متجاوزة لهذا القالب المادي المحدود ، وعلينا أن نبحث عن حقيقته فيما قبل الميلاد وفيما بعد الموت وفيما وراء الطبيعة) .

***

الفصل الثاني

على شاطئ أفكاره وآرائه

(١) مراحل متتابعة على طريق الإيمان

(٢) آراؤه في الدين والحياة

(٣) على ضفاف مؤلفاته

(١) مراحل متتابعة على طريق الإيمان

إن خير من يبين حقيقة هذه المراحل هو الدكتور مصطفى محمود نفسه فهو يقول عن نفسه ورحلتها مع الشك الذي وصل بها إلى الإيمان :

(قصة الشك وتاريخها مرتبطان بطبيعة تكويني الفكري ، طبيعتي كمفكر ، فمن طبيعة المفكرين أن يعيدوا النظر في المسلمات ، إنهم يبدأون من البداية الأولى ، دائماً يبدأون من صفحة بيضاء فهم على الدوام ضد المسلمات ، شك منهجي وليس شكا عنادياً .

والوقوف أمام المشرحة وأمام الموت كانت بداية عودتي إلى الإيمان ، فالطبيب تربيته العلمية صرفة فهو لا يعتمد على الغيب بل على المحسوسات ، والعلم يبدأ من المحسوس وكذلك الفكر المادي ، وهذا هو السر الحقيقي في أنني بدأت بالفكر المادي لأنني بدأت بالمسلمات الأولية العلمية ومن هنا ظهر كتابي الأول "الله والإنسان" في عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ ، وقدم هذا الكتاب للمحاكمة بطلب من الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر نفسه بناء على طلب الأزهر باعتبارها قضية كفر ، إلا أن المحكمة اكتفت بمصادرته ، وبعدها أبلغني الرئيس السادات أنه معجب بالكتاب وقرر طبعه مرة أخرى ، لقد ناقشت في هذا الكتاب كل الظواهر الموجودة في الكون بمنطق فكري علمي والقليلون فهموا موقفي على وجهه الصحيح ، وكنت منطلقاً من أساس واحد وهو أن الله واحد ، وأتذكر أنني التقيت يومها بالشاعر كامل الشناوي عندما شاعت عني فكرة الإلحاد فقال لي : يا "درش" بيقولوا عليك ملحد ، ده أنا لقيتك بتلحد على سجادة صلاة !!.

كانت لي شكوك إنسانية لكنى كنت مع الله وأنا في حالة شكي هذه ، وقد استشف الفنان كامل الشناوي : المؤمن من وراء هذه الزوبعة الإلحادية ، وهذه هي الحقيقة ، فلم تكن قصة الكتاب سوى رجل يتحسس طريقه ، وقصة ملاّح

ضال يبحث عن شاطيء ، وكانت الكتب التي أعقبت هذا الكتاب تلخيصاً لتلك السيرة وهذه الملاحة في البحار كانت خطوات رحلة فعلية من الشك إلى الإيمان.

إذا نظرنا إلى العالم المادي من الذرات المتناهية في الصغر إلى المجرات المتناهية في العِظَم وجدنا كل شيء يجري بقوانين وبحساب وانضباط ، إن الله الخالق العادل الحكيم الذي خلق مخلوقاته وألهمها الطريق ، وهو مبدأ أولي يصل إليه العقل دون إجهاد وتوحي به الفطرة بداهةً وإنما الافتعال كل الافتعال هو القول بغير ذلك.

والإنكار يحتاج إلى الجهد كل الجهد وإلى الالتفاف والدوران واللجاجة والجدل العقيم ثم نهايته إلى التهافت ، لأنه لا يقوم على أساس ولأنه يدخل في باب المكابرة والعناد أكثر مما يدخل في باب التأمل المحايد النزيه والفطرة السوية .

وهذا هو ما قالته لي رحلتي الفكرية الطويلة من بدايتها المزهوة في كتاب "الله والإنسان " إلى وقفتها الخاشعة على أبواب القرآن والتوراة والإنجيل .

إن الدين هو العلم الكبير الذي يشتمل على كل العلوم في باطنه ، ولا تعارض بين الدين والعلم ؛ لأن الدين في ذاته منتهى العلم المشتمل بالضرورة على جميع العلوم ، والتقدم المادي مطلوب ولكنه وسيلة لا أكثر من وسائل الإنسان المتحضر ولا يصح أن يكون غايته .

والدين لا يرفض التقدم المادي ولكنه يضعه في مكانه كوسيلة لا غاية ، والدين لا يرفض العلم بل يأمر به ويحض عليه ، ولكنه يضعه في مكانه كوسيلة للمعرفة ضمن الوسائل العديدة التي يملكها الإنسان كالفطرة والبصيرة والبداهة والإلهام والوحي ، والدين ـــ الإسلام خاصة ـــ يعتبر العلم فريضة ، وأول كلمة نزلت في القرآن هي "اقرأ" والإسلام دين عقل يخاطب أتباعه بالمنهج العقلي ، فالعلم والتقدم العلمي المادي له مكانة عظيمة في ديننا ، ولكن هو دائماً وسيلة لا غاية ، أداة لا صنم معبود ، وهذا هو وضع الشيء في وضعه الصحيح .

ولن تنزل السكينة على القلب ولن تعمر الروح بالطمأنينة والأمان إلا بَوسيلة واحدة هي الاعتقاد بأن هناك إلهاً خلق الكون وأن هذا الإله عادل كامل ، وأنه هيأ للكون نواميس تحفظه وقدر فيه كل شيء لحكمة وسبب وأننا راجعون إليه ، وأن الفرد حقيقة مطلقة وليس ترساً في آلة مصيره إلى التراب .

بهذا اليقين تنزل السكينة على القلب ويصل الإنسان إلى حالة من العمار الروحي والتكامل الداخلي ويشعر بنفسه أقوى من الموت وأقوى من الظلم ، وبهذا الإيمان يشعر الإنسان أنه استرد هويته وأنه أردك ذاته وتعرف على نفسه ومكانته من خلال إدراكه لإلهه الواحد الكامل) .

أهم انتصاراتي في الحياة

(قررت أن أعطي نفسي لرسالتي وهدفي كداعية إسلامي وكاتب وأديب ومفكر وقد اقتنعت تماماً بأن هذا قدري ورضيتُ به ، أغرق نفسي في العمل ، وتعودت أن أعطي ظهري لكل حقد أو حسد ولا أضيع وقتي في الاشتباك في هذه الأشياء وأفضل أن أتجنبها وأتجنب أصحابها حتى لا أبدد طاقتي فيما لا جدوى وراءه .

انتصاراتي على نفسي هي أهم انتصارات في حياتي ، وكانت دائماً بفضل الله وبالقوة التي أمدني بها وبالبصيرة والنور الذي أضاء به طريقي ، ولو سُئلت بعد هذا المشوار الطويل من أكون ؟ ، هل أنا الأديب القصاص أو المسرحي أو الفنان أو الطبيب ؟ ، لقلتُ : كل ما أريده أن أكون مجرد خادم لكلمة " لا إله إلا الله " وأن أكون بحياتي وبعلمي دالاً على الخير .

تلك كانت رحلتي بطول ثمانين عاماً وبعرض ٨٩ كتاباً تشهد على عصر من نافذة عقل يعيش وينفعل ويرى ويكتب وينقد كل ما يجري في الشارع المصري وحوله ، وأراني قد اخترت بعد هذه الرحلة ، العلم والإيمان منهجاً والديمقراطية أسلوباً سياسياً للحكم والإسلام ديناً ولا إله إلا الله رايةً .

ورغم كل شيء فأنا مازلت أراني في بداية الطريق وكل ما كتبت هو في نظري لا أكثر من مسودة ناقصة ، وبين ما أنجزت وبين ما أحلم به بون شاسع ومازلت أتتلمذ كل يوم على كل إنسان).

***

فلماذا الشك إذن ؟ وفيم ؟ .

يقول مصطفى محمود في حواره مع الأستاذ محمود فوزي :

(كنت متجهاً في طفولتي للدين وبقوة ، إلى أن أملى علينا شيخ الجامع " كلام خنفشاري " ، ورقة عبارة عن مزيج من الآيات والطلاسم ، ثم قال لنا : الصقوا هذه الورقة على الحائط وسوف تموت الصراصير صرعى على هدى هذه الطريقة الدينية العظيمة ، لكنّ الصراصير تزايدت وأصبحت أضعاف ما كانت قبل طريقة الشيخ ، بل الأدهى أنها اتخذت من الورقة ملجأ لها !!.

وكانت هذه هي بذرة الشك التي زُرعت في نفسي ، زرعها شيخ وواعظ سيدي عز ، كان عمري وقتها ١١ سنة ، بدأت أحاور وأرفض حتى كونت "جمعية كفار" وعمري ١٢ سنة وضربوني علقة ساخنة في الجامع .

كان تياراً موجوداً على الساحة أيامها يؤكد هذا الاتجاه مُمثلاً في كتب دارون وسلامة موسى وشبل شميل ، كتابات شبل شميل كانت تدور حول دارون والدارونية والتطور ، وسلامة موسى كان يغذي نفس الأفكار ، كانت ثورة على الدين ، وأنا سرت على هذا المنهج ، وكانت جمعيتنا ضد كل الأديان ، وسبب نشأتها شيخ جاهل ، إن الوعظ الخاطيء يمكن أن يقود إلى كارثة مروعة .

وصدر كتابي "الله والإنسان" وهاج الناس وماجوا وقدموا شكاوى ، وصودرت بقية نسخ الكتاب وقدمت للمحكمة واختاروا أيامها شهر رمضان بالذات للمحاكمة ليشددوا الحكم .

واستعنت بالمحامي الشهير محمد عبدالله الذي قال لي : يا ابني ما كتبته في كتابك هذا يقرأه كبار الصوفية ، وتمت المحاكمة في حجرة مغلقة واستند المحامي إلى أكابر الصوفية ، وفي النهاية أفحم القضاة الذين لم يجدوا بُداً إلا إرضاء عبد الناصر فأصدروا الحكم بلا حيثيات وصودر الكتاب دون أن أعاقب ، والغريب أن المفتي كان قد قرأ الكتاب وقال : إن هذا أسلوب يبشر بكاتب كبيروعالِم ربنا يهديه .

إن شكوكي في الحقيقة ورد فعلي لما حدث من الشيخ الواعظ تعود في حقيقة الأمر إلى تكويني الداخلي الذي هو أقرب ما يكون إلى المفكر ، أما إذا كانت نفس الواقعة تلقاها إنسان عادي فقد كان رد فعله المباشر أنه سيقول : إن هذا الشيخ نصاب ودجال ، وينتهي الأمر عند هذا الحد فقط ! ، وما شككت في وجود الله تعالى قط ، وأنه هو الواحد الأحد القهار ، ولم ينتابني شك مطلقاً في القدرة الإلهية وإنما تدبر هذا الكون الكبير من حولنا ، وأن هذا الكون باتساعه الكبير هو خير برهان ودليل على وجود الخالق الأعظم ، وإنما نوعية الشك في مسألة القضاء والقدر والجبر والاختيار والجنة والنار ونوع الخلود وشكله ومظهره .

ولكن كل هذه المسائل تغير فيها تفكيري تماماً بعد بحث وتفكير كبير وأحسستُ أن القرآن كتاب عجيب لا تستطيع أن تحذف كلمة منه أو تضع كلمة له ، القرآن جامع مانع ، نسيج وحده ، دستور للبشر أجمعين في كل زمان ومكان.

***

وبعد كتاب "الله والإنسان" بدأت أعيد النظر في كل شيء من حولي وأوله هذا الكتاب ، إذ وجدته مليئاً بالثغرات ولا يفسرني ، خاصة أن الفكر الاشتراكي كان يحاول استقطابي وتتويجي زعيماً ، لكني لم أدخل أية كوادر يسارية معهم ، ودخلت في محاورات مع محمود أمين الماركسي وأفحمته وفندت آراءه ، خاصة في الندوة

التي عقدت أيامها في الجامعة الأمريكية بالقاهرة ويومها سحبت البساط من تحت قدميه .

وقرأت كل ما كتب في الفلسفة وعلم النفس بدءاً من سقراط وأفلاطون وأرسطو وهيجل وانتهاءً بكارل ماركس ووليم جيمس ، وتعمقت في قراءة الأديان من أول الفيدات الهندية والبوذية والزرادشتية حتى انتهيت إلى شاطئ الإيمان.

الإنسان على طريق الدين يكتشف انتسابه الحقيقي والأصلي باعتباره صادراً عن الله وإلى الله يعود ، فهو مخلوق لله ومسئول أمامه ، وكل ما يملك فمن الله وبفضله ، وواجبه لا يكون إلا نحو الله وعمله لا يقصد به إلا وجه الله ، والصوفي الذي تتفتح بصيرته فيدرك من الحقيقة الإلهية ما يجعله يغيب عن عالم الظواهر ويغيب عن نفسه ويستغني بقربه من الله عن كل شيء ، مثل هذا الإدراك الرفيع من ذلك الصوفي لا يمكن إنكاره بإشاحة اليد لمجرد أن الملحد عاطل عنه . فليس من حق الأصم أن ينكر الأصوات ، ولا الأعمى أن ينكر نور الشمس لمجرد أنه لا يراه ، في مثل عصرنا التقدمي يصبح إنكار الغيب سذاجة عقلية) .

(٢) آراؤه في الدين والحياة

بعد أن وصل مفكرنا العظيم إلى شاطيء الإيمان رأى واجباً عليه أن يبين للناس كيف كانت رحلته الطويلة الشائكة الشاقة ، يقول :

(يجب الخروج من المستنقع الاشتراكي ومن بقايا الاقتصاد الشمولي الذي خلفه عبد الناصر ، القطاع العام والمجانية العشوائية في التعليم والخمسين في المائة عمال وفلاحين ، والظلم الواقع على المالك من مستأجر الأرض التي لا يزرعها بل يعود فيؤجرها هو الآخر من الباطن ، هجرة الريف إلى المدينة ، وانهيار الزراعة ، وروح الكسل والتواكل والحقد والحسد وعدم الانتماء والسلبية التي خلفتها الاعتمادية الاشتراكية على الدولة

في كل شيء ، يجب الخروج تماماً من هذا المنهج الناصري الفاشل والمخرب لأنه لا يمكن البناء على أساس فاسد ولا يمكن رفع البنيان على خراب .

ورغم تغير منهجنا الاقتصادي تماماً إلا أن دستورنا مازال يستلهم الفشل الماركسي ، بالعلم والعمل ينهض الاقتصاد ويتحول الانفجار إلى بركة ، فلسنا أكثر تعداداً من اليابان ولسنا أكثر تعداداً من الهند ، وقد استطاعت الهند أن تغطي احتياجاتها من القمح لأن كل الأيدي تعمل ، واستطاعت اليابان أن تهزم الإنتاج الأمريكي لأن الكل يعمل ، واستطاعت كوريا الجنوبية وسنغافورة وماليزيا وهونج كونج أن تقفز إلى الصدارة ، في سنغافورة التعداد الكلي للسكان ثلاثة ملايين والإنتاج الكلي المُصدّر إلى الخارج سبعون ملياراً من الدولارات وهي لا يوجد فيها بترول ولا غاز طبيعي ولا حديد ولا نحاس ولا خامات معدنية ، حتى الماء تشتريه من جارالها .

وهونج كونج وهي مدينة وأحلة تنتج وتصدر أضعاف ما تصدر مصر ذات الستين مليوناً من البشر ، لأنهم جميعاً يعملون ، متى نخرج من قوقعة الحقد والكسل والخراب النفسي الذي جلبته علينا حكوماتنا الشمولية ونعود أمة عاملة منتجة ، ومتى نعود إلى الفطرة السوية وإلى العقل الناشط الذي يتميز به المسلم الحقيقي؟.

العلم مجاله محدود ، لا يمكنه أن يفسر أزمة النفس الإنسانية ، إذن لابد أن نلجأ إلى شيء آخر غير العلم ، لابد أن نلجأ إلى علم النفس والفلسفة والأديان القديمة حتى نصل إلى القرآن الكريم .

والقرآن يجبها جميعاً ويحتوي عليها ويضمها تحت عباءته ويضيف ، وهذه أشياء تُعرف بعد رحلة من الإخلاص ، السجود لله تعالى بصمة الله سبحانه وتعالى ودليله القهري الذي لا يناقش بأن الطريق الذي تسير فيه صحيح ، عندما تملك الحس الصوفي فإنك تحس بالسرمدية ، هناك من يعيش على مستوى الشهوات وهي

لحظات يأكل بعضها البعض الآخر ، ويلي ذلك أهل العاطفة وأهل التأمل وأهل الإشراق ، وكل ذلك تجارب باطنية صِرفة .

إن الدين حالة قلبية وإحساس باطني بالغيب وإدراك مُبهم ، لكنه مع إبهامه شديد الوضوح بأن هناك قوة خفية حكيمة مهيمنة عليا تدبر كل شيء ، إن المملكة لها مالك ، فلا مهرب لظالم ولا إفلات لمجرم ، إنك لم تولد عبثاً ولا تحيا سدى وموتك ليس نهايتك بل سيعبر بك إلى حيث لا تعلم ، إلى غيب من حيث جئت من غيب ، والوجود مستمر .

وهذا الإحساس يورث الرهبة والتقوى والورع ويدفع إلى مراجعة النفس ويحفز صاحبه لأن يبدع من حياته شيئاً ذا قيمة ويصوغ من نفسه وجوداً أرقى وأرقى كل لحظة ، متحسباً لليوم الذي يلاقي فيه ذلك المِلِك العظيم مالك المُلك .

وتأتي العبادات والطاعات بعد ذلك شواهد على هذه الحالة القلبية ، لكن الحالة القلبية هي الأصل وهي عين الدين وكنهه وجوهره .

ويتزل القرآن للتعريف بهذا الملك العظيم ، ملك الملوك ، وبأسمائه الحسنى وصفاته وأفعاله وآياته ووحدانيته ، ويأتي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ليعطي المثال والقدوة ، وذلك لتوثيق الأمر وتمام الكلمة .

***

أخطر أنواع التلوث في هذا العصر هو التلوث الخلقي بما استحدث الإنسان من وسائل إعلامية تدخل على الإنسان غرفة نومه وتزاحم العائلة على مائدة العشاء مثل التليفزيون والراديو ، فمن خلال هذه الوسائل الحميمة أصبح في إمكاننا أن نقدم للناس ما نريد وأصبح في الإمكان أن نُروِّج للباطل وننشر الأكاذيب وأصبح في الإمكان أن ندعوا للشهوات عياناً بياناً بما تغنيه على الأسماع ليل نهار من كلمات عارية وما نعرضه على الأعين من مغازلات فيتربى الصغار على أن هذا هو

الأمر الواقع فينتهي الحياء ، وبانتهاء الحياء تقوم دولة القرود !! ، لقد فقد الإنسان في هذا العصر ــ عصر القرود ــ القدرة على التحكم في شهواته فصار أقل عطفاً وأقل رحمة وأقل مروءة وأقل صفاء من إنسان العصر الزراعي المتخلف ، لقد تقدمنا خطوات إلى الأمام وسرنا مثلها إلى الخلف .

***

إن الحب الأسمى ليس هذا الحب الزائل بين رجل وامرأة ، ولكن الحب الحقيقي هو الذي يرتفع إلى مستوى أسمى وأرفع وأرقى ، إنه حب الذات الإلهية ، يا إلهي أقسمت عليك بعجزي واقتدارك إلا جعلت لي مخرجاً من ظلمتي إلى نوري ومن نوري إلى نورك ، سبحانك لا إله إلا انت ، لا إله إلا الله.

نبينا هو ذلك الرجل الفطري الأمي البدوي البسيط الذي يسعى بين الناس بلا تكلف ، يتكلم في تلقائية ، لا يتصنع علماً ولا يتلو من كتاب ولا يتدارس مذهباً ولا يأخذ بأي سبب من أسباب العظمة الدنيوية ، أي خلط نقع فيه حينما نخلط بين مثل هذا الرجل وبين المفكرين أصحاب المذاهب والدارسين والمتكلفين والعاكفين على الكتب والمتخصصين من حملة الدبلومات والمهيجين السياسيين أصحاب الأغراض والماكرين العظام الذين قلبوا الدنيا وخطفوا أضواء التاريخ لفترة من الزمان.

وإننا إذ نمضي في كتب السيرة نتتبع هذه الذات المحمدية في فعلها وانفعالها ، وفي أثرها البعيد المستمر في هذا الواقع البدوي الفظ من حولها ، نراها تأتي حولها سحراً ، فأيما لمستْ من إنسان أحالته نوراً يمشي على الأرض ، وأيقظتْ فيه نوازع الخير وفجّرت فيه ينابع المحبة ، وقد آتى الله نبيه تلك القدرة المذهلة على تغيير الرجال وصهر معادن النفوس وإعادة سبكها في أحلى الصور ، ولهذا أحبه أصحابه

وافتدوه بالمهج والأرواح ، فقد رأوا نفوسهم تولد بين يديه وكأنهم كانوا عدماً فأحياهم.

إن الإسلام في طبيعته السماحة واللين والوداعة ، إنه دين يضم في عباءته كل خصمائه من الأديان الأخرى في حنان وتفهم ما داموا قد سالموه ولم يبادروه العداء

وقد يتساءل الماكرون : ألم ينقسم الإسلام نفسه إلى شيعة وسُنة ودروز وعلويين وخوارج ومعتزلة ، إلى آخر السبعين فرقة التي حملت بالسيف بعضها عن البعض ، فكيف نطمع أن يوحدنا الإسلام إذا كان قد عجز عن توحيد نفسه ؟!.

فسنقول لهم : إن الإسلام لم يفرق الناس إلى دروز وعلويين وخوارج ومعتزلة بل لم ينقسم الإسلام على نفسه ، وإنما المسلمون هم الذين فرقتهم الأهواء والأغراض وطوّحت بهم الأطماع السياسية في شتى الطرق والسبل ومزقتهم شر ممزق وجعلتهم أحاديث : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾ الأنعام ، ذلك هو الإسلام البسيط الذي نعرفه ونريده ، ذلك هو الإسلام الذي صنع لنا لغتنا ووحدتنا في الماضي وهو الذي يستطيع أن يصنع لنا وحدتنا في المستقبل وهو الذي يستطيع أن يتحدَ الروس والأمريكان بمثل ما تحدى الروم والفرس بالأمس ، هو الإسلام الذي يحترم العلم ويدعو إلى المزيد من العلم .

إنه الدين [illegible] يخشاه الروس والأمريكان وال[illegible]يون ولا يريدون له صوتاً في الأرض العربية لأنهم يعلمون أنه الصوت الأسطوري الذي سوف يصنع معجزة الوحدة على الأرض العربية ، وإذا توحد العرب وفي يدهم المال والطاقة والعقيدة فتلك دولة الحق التي ستعلو على كل الدول ولن يقف أمامها شيء ، وسيأتي ذلك اليوم حينما يأتي الإيمان الكامل والمؤمن الكامل ، ذلك المؤمن القادم الذي هو ثمرة

التوحيد ، سوف يكون أول من ينتفع بثمرة التوحيد فتتوحد شخصيته ويتوحد اتجاه مشاعره نحو مصدر واحد للتلقي ، فلا تتوزع عواطفه ولا يتوزع انتباهه ولا تتشتت نفسه ، وبهذا التوحيد يجتمع همه وتتوحد قبلته وتتوحد أشواقه وتنتظم أفكاره كأنها الحبات سلكت خيطاً واحداً ! ، وإذا ظهر هؤلاء الرجال الربانيون فذلك هو البعث الحق) .

ويركز الدكتور مصطفى محمود في مقالاته وكتبه على الدور الخسيس الذي تلعبه الصهيونية في الماضي والحاضر وكيف أنهم بلا عهود ولا مواثيق ، وقد واثق النبي صلى الله عليه وسلم اليهود وعقد معهم المعاهدات كما واثق المشركين وعقد معهم المحالفات ، ولم يقاتلهم إلا حينما نكثوا وغدروا وخانوا عهدهم الذي كتبوه بأنفسهم ، وقد اضْطهد اليهود وذُبِّحوا تذبيحاً في أسبانيا وفي أوروبا وفي آسيا وفي كل مكان إلا ديار الإسلام ، فقد وسعتهم ووجدوا فيها الكنف والسكن والأمان ، وكان بيت المال يُخرج المعاش لليهودي العاجز كما يخرجه للمسلم دون تمييز ، وذلك هو الإسلام ، دين السماحة والوفاق والمصالحة والصدر المفتوح .

ويؤكد أن إسرائيل لا تعمل لمصلحة أحد ولا تخدم إلا استراتيجية بقائها واستمرارها ، وخطتها القريبة هي إثارة الفتن والحروب والخلافات في المنطقة العربية وابتلاعها قطعة قطعة ، وخطتها البعيدة هي إثارة الفتن والحروب على مستوى العالم كله حتى لا تتبقى قوة كبرى تنازعها ، فعملاؤها وراء كل الفتن والحروب والفكر الهدّام وموجات التطرف وتيارات الانحلال وموضات العُرى والفن العابث والكتب الداعرة ، وهم وراء السوس الفكري الذي يدب حتى النخاع في البنية التنظيمية للعالم ، هكذا يقول كتابهم التلمود وهكذا تقول برتوكولاتهم).

(٣) على ضفاف مؤلفاته

تخرج مصطفى محمود في كلية الطب متفوقاً ، وعلى الرغم من تخصصه في جراحة المخ والأعصاب ؛ فإنه كان نابغاً في الأدب منذ كان طالباً ، وكانت تُنشر له القصص القصيرة في مجلة روز اليوسف واحترف الكتابة بها عقب تخرجه ، وعندما أصدر الرئيس عبد الناصر قراراً بمنع الجمع بين وظيفتين قرر الاستغناء عن عضوية نقابة الأطباء وحرمان نفسه من ممارسة المهنة إلى الأبد ، مفضلاً الانتماء إلى نقابة الصحفيين ، والعمل كأديب ومفكر .

وعندما سئل ماذا يملك الطبيب من إمكانات تشجعه على أن يكون أديباً أو فناناً ؟ ، أجاب : للطب علاقة وثيقة بالحياة وأسرارها وخفاياها ، فالطبيب هو الوحيد الذي يحضر لحظة الميلاد ولحظة الموت فهو الوحيد الذي يباشر الحياة عارية من جميع أقنعتها .

وقد ألف مصطفى محمود تسعين كتاباً تنوعت بين العلمية والدينية والفلسفية والاجتماعية والسياسية إضافة إلى القصص والمسرحيات وقصص الرحلات وغيرها بأسلوبه الذي يتميز بالبساطة والسلاسة المتناهية التي تشد القارئ وتجعله منجذباً لموضوعه الذي يقرؤه .

وشارك في العديد من المؤتمرات العلمية والدينية في العالم كله ، الأمر الذي توّجه في عام ٢٠٠٣ م باختياره من قِبل مؤسسة السيرة الذاتية الأمريكية كأعظم العقول في القرن الحادي والعشرين ضمن مائة وعشرين مفكراً من مختلف دول العالم .

اعتزل الكتابة بعد معركة الشفاعة وتوقف برنامجه "العلم والإيمان" وانقطع عن الناس حتى أصابته جلطة دماغية عام ٢٠٠٤ م فعاش منعزلاً وحيداً يقاسي مرض الزهايمر الذي ألم به في أواخر ٢٠٠٥ ليرحل أواخر هذا العام في هدوء .

أهم مؤلفاته

ست مسرحيات مُثّلت على المسرح : الزلزال ، الإنسان والظل ، الإسكندر الأكبر ، الزعيم ، أنشودة الدم ، شلة الأنس ، الشيطان يسكن في بيتنا ، ورواية ظهرت في السينما هي المستحيل ، وقصص أخرى قصيرة .

وله خمس وعشرون كتاباً في الإسلاميات وثلاث روايات طويلة والباقي دراسات فلسفية وإنسانية ودراسات في الأديان والمذاهب .

يقول مصطفى محمود عن نفسه :

(كانت حياتي الأدبية في خلال ثلاثين عاماً وعبر ستة وخمسين كتاباً هجرة مستمرة نحو إدراك الحياة والبحث عن الحقيقة ، وكان كل كتاب محطة على طريق هذا السفر الطويل ، كانت المجموعة الأولى من الكتب التي صدرت فيما بين عامي ١٤٥٤ ، ١٩٥٨ تمثل المرحلة المادية العلمانية وفيها قدمتُ كتبي "الله والإنسان" و"إبليس" ، ومجموعة قصص "أكل عيش" و"عنبر ٧ "، وفي هذه القصص حاولت أن أصور المجتمع من منظور واقعي صِرف ، وكان موقفي من المسلمات الدينية هو موقف الشك والمناقشة .

وكانت المرحلة الثانية هي بداية الشك ، فقد اتضح لي عجز الفكر العلمي المادي عن أن يقدم تفسيراً مقنعاً للحياة والموت والإنسان والتاريخ ، واقتنعت بأن الحقيقة الإنسانية لابد أن تكون متجاوزة للقالب المادي المحدود ، وعلينا أن نبحث عن تلك الحقيقة فيما قبل الميلاد وفيما بعد الموت وفيما وراء الطبيعة ، وفي هذه المرحلة كتبت مؤلفاتي "لغز الحياة" ورواية "المستحيل" ، وتكاد تبوح رواية المستحيل فيما بين سطورها بهذا العطش الصوفي والروح الرومانتيكية .

وتستمر هذه المرحلة إلى أوائل الستينات ، وفي ١٩٦٢ أهاجر هذه المرة بالقلم والجسد في محاولة لاستكشاف الحقيقة في الغابات الاستوائية العذراء في جنوب

السودان وكينيا وأوغندا وتنزانيا ، وأعيش شهرين في قبيلة (نيام) ، وتعقب تلك الرحلة رحلة أخرى إلى قلب الصحراء الكبرى في واحة غدامس ، حيث أعيش شهراً مع الرجال الملثمين في قبيلة (الطوارق) ، وتكون ثمرة هذه الرحلات في ثلاثة كتب هي "الغابة" و "مغامرة في الصحراء" و "حكايات مسافر" ، وذلك عن رحلة ثالثة إلى أوروبا ، و"من أمريكا إلى الشاطئ الآخر" وهي عن رحلة إلى أمريكا ويوغوسلافيا واليونان ثم العودة إلى العريش .

وبعد ذلك تأتي المرحلة الرابعة التي أحاول أن أركب فيها سفينة العالم لأهاجر إلى ما وراء العلم في مغامرة لأكتب لوناً جديداً من أدب الرواية العلمية وفي هذه المرحلة قدمت روايات "العنكبوت" و"الخروج من التابوت" و"رجل تحت الصفر" التي حازت على جائزة الدولة في وقت متأخر في عام ١٩٧٠ ، وفي هذه المرحلة أيضاً كتبت "أينشتاين والنسبية" .

ثم تواكب هذه المرحلة وتأتي بعدها مرحلة أدبية قدمت فيها معظم أعمالي الأدبية ومنها مسرحية "الزلزال" ومسرحية "الإنسان والظل" ومسرحية "الإسكندر الأكبر" ، ومجموعات قصص مثل "رائحة الدم" و"شلة الأنس" وروايات اجتماعية مثل "الأفيون" .

وفي أواخر الستينات أدخل عالم الأديان في سيرة طويلة تبدأ بالفيدات الهندية والبوذية والزرادشتية والثيوصوفية واليوجا ثم اليهودية والمسيحية والإسلام ، وأنتهى إلى شاطئ القرآن الكريم ، وفي بحر الصوفية الإسلامية أجد جميع الينابيع وجميع الجداول وكل الأنهار ، وأجد الإجابات لكل ما كنت أبحث عنه من مشاكل أزلية : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا

أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) ﴾ النساء .

هكذا تأتي مرحلة التحول الكامل إلى الإيمان وتتوالى مجموعة من كتب الإسلاميات "القرآن محاولة لفهم عصري " و"رحلتي من الشك إلى الإيمان" و"الله محمد" و"الطريق إلى الكعبة" و"التوراة" و"الشيطان يحكم" و"الروح والجسد" و"حوار مع صديقي الملحد" ، وتغطي هذه المرحلة سنوات السبعينات .

وفي هذه المرحلة أتخذ موقفاً صريحاً مناهضاً للفكر الماركسي والفكر الشيوعي وأقدم كتب "الماركسية والإسلام" و"لماذا رفضت الماركسية ؟" و"أكذوبة اليسار الإسلامي" ، كما أناقش كل ألوان الغزو الفكري من وجودية إلى عبثية إلى فوضوية إلى مذاهب الرفض والتمرد واللامعقول .

ثم بعد ذلك وفي أواخر السبعينات تأتي المرحلة الصوفية وفيها أقدم الثلاثية : "الصوفية والسرّ الأعظم" و"رأيت الله" و"الوجود والعدم" ، كما أقدم "أسرار القرآن" ، "والقرآن كائن حي" ، ومجموعات قصص مثل "نقطة الغليان" و"أناشيد الإثم والبراءة" ، ومسرحيات مثل "الشيطان يسكن بيتنا" ومسرحية "الطوفان" ، ودراسات في الحب مثل : "عصر القرود" ، ورواية سياسية هي "المسيح الدجال" .

تلك كانت رحلتي بطول ثمانين عاماً وبعرض ٨٩ كتاباً تشهد على عصر من نافذة عقل يعيش وينفعل ويرى ويكتب وينقد ما يجرى على لسان الشارع المصري وحوله ، وأراني قد اخترت بعد هذه الرحلة (العلم والإيمان) منهجاً والديمقراطية أسلوباً سياسياً للحكم والإسلام ديناً ولا إله إلا الله رايةً).

***

وفيما يلي نقد سريع موجز لبعض كتب الدكتور مصطفى محمود رحمه الله السياسية والإسلامية والأدبية والاجتماعية ومن أهمها وعلى رأسها رواية (رجل تحت الصفر) الحائزة على جائزة الدولة عام ١٩٧٠ ، وهو في قصصه ورواياته لا يستطيع الناقد أن يضعه في قالب فني معين أو مذهب أدبي معين ، ربما لأنه يجد في النظريات قيداً على الفكر يحول دون التعبير بحرية أكثر ، وبرؤية بانورامية أكثر شمولاً ، فالإنسان ـــ كما يقول مصطفى محمود ـــ لم يُخلق ليأكل ولكنه يأكل ليعيش على حد تعبير المقولة الشهيرة أو على رأى الدكتور مصطفى محمود نفسه في تقديمه لمجموعته القصصية "أكل عيش" .

يقول الأستاذ مأمون غريب مسترسلاً : وقد أعجبتني الدراسة التي قدم بها الناقد الأستاذ جلال العشري لهذه المجموعة "أكل عيش" ، الذي يرى أن مصطفى محمود في قصصه القصيرة لم يتجه إلى تصوير نماذج كلاسيكية كما يفعل الآخرون ، لم يتجه إلى تصوير نموذج البخيل أو الجشع أو المراهق ، وإنما اتجه إلى تصوير أفكار في موقف ، أفكار تحس وتتحرك وتتطور من خلال تصور الشخصيات نفسها ، فالشخصية وعاء للفكرة والقضية في قلب الموقف والقيمة الفنية ، إذ تنطوي على القيمة الفكرية إنما تصل بالقصة القصيرة إلى أقصى مداها ، وهو لا يخاطر بالقيمة الفكرية لحساب القيمة الفنية فيقدم أعمالاً شكلياً أقرب إلى الضجيج البحت أو التكنيك الخالص ، كما هو الحال عند كاتب مثل تنسي وليامز ، وإنما هو يحافظ على القيمتين معاً ويحاول أن ينطلق بهما في وقت واحد فهو مفكر من حيث هو فنان ، أو هو مفكر بما هو فنان ، أو أن المفكر والفنان فيه هما شئ واحد .

واختياره للموضوعات التي تناولها يعكس الكثير من الاتجاهات والاهتمامات الفكرية المعاصرة ، وتناوله لهذه الموضوعات يكشف عن عقل ذكي وحساس ،

ينزع لنزعة إنسانية ويجاهد للوصول إلى حل لبعض المشكلات التي تؤرقَ الإنسان الحاضر ، إن مصطفى محمود في حقيقته لهو رقيب وشاهد على هموم ومشاق عصره مثلما كان "ألبير كامي" رقيباً وشاهداً على عصره .[٢]

ومن الجوانب المهمة التي يجدر التنويه بها أن الدكتور مصطفى محمود كان من أوائل من اتخذوا في كتابتهم للرواية منحى تجريبياً بارتياده طريق الوعي وهو الذي لا يتخذ في كتابة الرواية الشكل التقليدي الكلاسيكي وإنما يعتمد على التداعي الحر والمناجاة الذاتية والحلم فيما يعرف اصطلاحاً برواية (تيار الوعي) ، وانتظم في ذلك مع محمد عوض عبد العال وعبد الفتاح رزق ومجيد طوبيا وغيرهم ممن سلكوا هذا الطريق من جيل الستينات ومن تلاهم .

كما يُعد من أعلام كتّاب الرواية الخاصة بالخيال العلمي ، التي ساهم بالكتابة فيها بأعمال متميزة نذكر منها "رجل تحت الصفر" و "الأفيون" وتعد علامات في رواية الخيال العلمي المكتوبة باللغة العربية ، شأنه في ذلك شأن أعظم كُتاب رواية الخيال العلمي في مصر مثل نهاد شريق وصبري موسى ورؤوف وصفي .

أما عن أدب الرحلات فيكفي أن نشير إلى أنه من المعدودين من كُتّاب أدب الرحلات في مصر والعالم العربي ، ووضع اسمه ضمن البارزين في هذا الفن مع محمود تيمور وحسين فوزي وأنيس منصور وعبد الله الطوخي وعبد الفتاح رزق وخيري شلبي وغيرهم ، وقد نال جائزة الدولة التشجيعية في أدب الرحلات عام ١٩٧٥عن كتابه "مغامرة في الصحراء" .

وكان لمصطفى محمود دور بارز في الكشف عن حقيقة الأفكار والمعتقدات البهائية في كتابه الذي يُعد من أوائل الكتب التي تناولت هذا الموضوع "حقيقة البهائية" .

---

(٢) مصطفى محمود حياتي وفكري .آرائي ومواقفي-دارسلمى ط ١٩٩٦م

وتميز أسلوب مصطفى محمود بالبساطة والسلاسة المتاهية التي تشد القارئ وتجعله منجذباً لموضوعه الذي يقرؤه ، بالإضافة إلى قدرته الخارقة على تطويع اللغة تطويعاً عجيباً بحيث تكون في النهاية سلسلة لينة يشكلها ويعبر بها عما أراد وما يريد.

وفيما يلي عرض مبسط غير مُخِل لبعض إنتاجه الفكري عبر سنوات بحثه عن الحقيقة وعلاجه لآفات المجتمع وبحثه في خضم الأديان والمعتقدات ورؤيته للسياسة والغد والمستقبل .

(١) رجل تحت الصفر (خيال علمي)

يشرح الأستاذ الجامعي إذ وصل للجامعة في صاروخ ، في أقل من دقيقة ونصف لطلبته ما حدث للعالم من وباء أفنى نصف التعداد البشري "ألف وخمسمائة مليون وفاة في ثلاث سنوات" ، وكيف اتحدت الحكومات والشعوب وصارت حكومة واحدة وشعباً واحداً واستطاع العلماء تدمير الوباء ، وقامت الاشتراكية أخيراً على أساسها الصحيح ، ليس بحتمية الاقتصاد وحدها بل بحتمية الحب وبتوافر العامل النفسي الذي يجمع القلوب والأيدي على العمل المخلص البنّاء .

تم تثليج الإنسان وتعليبه (عام ٢٠٤٨م) وحفظه ثلاثة أشهر كاملة ، بيات شتوي كامل ، وذلك بتبريد الجسم إلى درجة الصفر المطلق (٢٧٣درجة تحت الصقيع) ، وبعدها تمت إعادته للحياة بتدفئته التدريجية إلى حرارته المعتادة دون أن يفقد كثيراً من خصائصه الحيوية فيما عدا فقد محدود في ذاكرته .

في سنة ٢٠٦٢م اكتشف الكيميائي المصري (ع.بدران) أقراص (السعادول) التي استنبط مادتها من أعشاب مخدرة تنمو في الواحات ، ذلك المخدر هو الحل المثالي للقلق والكآبة والتوتر والخمول ورفيق الجيب الدائم لجلب السعادة والتفاؤل .

تحول عالم الطبيعة العظيم الدكتور (شاهين تاكفور) إلى شاب مورد الوجنتين في الثامنة عشرة تحت تأثير كيميائي ثم يرحل تحت تأثير اختراعه الجديد ليتخطى

حدود الجسد ويخرج من الأرض ويرتحل على شكل موجة إلى فضاء السدم والمجرات عند أطراف اللانهاية ، وبعد ذوبانه يكتشف في شبحه خاصية التسارع تلك القدرة الكامنة في الحياة الموجية والتي لا علم لنا بها نحن أهل الأرض ، ويختفي شبحه من على الشاشات فترة .

ويعود من جديد للظهور وهو يقول في سعادة الكشف عن الحقيقة : إنني أعيش في الحرية المطلقة والانفتاق الكلي ، وأنا أفهم الآن لماذا لا يعود من يموت إلى الأرض ، إنه يعبر حاجز الوجود المحدود إلى حالة من اللا زمان واللا مكان ، حالة من الكلية والانتشار والجمال تتضاءل إلى جوارها كل الذكريات !! ، ثم يتسارع مرة أخرى متجهاً إلى الشمس ليختفي من جديد ويكتشف أن كل ما تعلمناه عن النار وعن العشرين مليون درجة حرارة في باطن الشمس ، تلك درجات كانت خيالاً قاصراً ، هذه الدرجات القصوى هي الحياة ، قمة الحياة وذروة الفعل الخالص .

وظهر اكتشاف الدكتور شاهين الذي ضحى بجسده على الأرض من أجل كشف جديد للبشرية ، وثبت إمكان تحلل الجسد إلى المكافئ الموجي له ، وإمكان حياة هذا المكافئ الموجي حياة العقل المجرد والإدارة الحرة ، لكن سر التجربة الفريدة مات مع صاحبه ، ودخل الكل في جدل علمي وأستهم التفاصيل حقيقة كبرى أطلقها الدكتور شاهين ، وهي أن الله موجود ، وغرقوا في الحياة المادية من جديد ماعدا زوجة الدكتور الراحل التي آمنت بأنه من الداخل ــ داخل النفوس ــ يخرج كل شيء ، وأدركت أن مجال المحبة أقوى من مجال أي مغناطيس ، وظلت تسجد وتصلي وتبكي ، كانت الوحيدة التي آمنت بالله في عالم الكفر والخواء !! .

***

(٢) علم نفس قرآني جديد

كلمة "لا إله إلا الله" تطلق الإنسان من عقاله وتحرره من جميع العبوديات الباطلة وتبشره بالمغفرة وتنجيه من الخوف وتحفظه من الوساوس وتؤيده بالملأ الأعلى وتجعله أطول من السماء هامة وأرسخ من الأرض ثباتا ، فمن استودع همه وغمه عند الله بات على ثقة ونام ملء جفنيه .

فأنت لست وحدك لأن الله موجود ، تَحُفُّ بك العناية حيث سِرْتَ وتحرسك المشيئة حيث حللت ، وتلك حال أهل " لا إله إلا الله " .

المؤمنون أهل حِلم وصبر وتواضع وتسامح وحياء : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) }الفرقان .

إن علاقة المؤمن بما حوله علاقة متميزة مختلفة ، علاقته بالأمس والغد وعلاقته بالموت ، وعلاقته بالناس ، وعلاقته بعمله ونظرته للأخلاق ، فالأخلاق بالمعنى المادي الواقعي هي أن تشبع رغباتك لما لا يتعارض مع حق الآخرين في إشباع رغباتهم أيضاً ، فهي مفهوم مادي اجتماعي بالدرجة الأولى وهدفها حسن توزيع اللذات ، أما الأخلاق بالمعنى الديني فهي بالعكس أن تقمع رغباتك وتخضع نفسك وتخالف هواك وتحكم شهواتك لتحقق برتبتك ومنزلتك العظيمة كخليفة عن الله ووارث للكون المسخر من أجلك ، فأنت لا تستحق الخلافة والسيادة على العالم إلا إذا استطعت أولاً أن تسود نفسك وتحكم مملكتك الداخلية .

مصطلح العولمة الذي يُتبادل كرمز للتقدم والتطور والحداثة وأشباهه من المصطلحات ما هي إلا مجموعة من الفخاخ اللفظية التي تحتوي على الكثير من قلب الحقائق وعلى كَم هائل من التبعية والتنازلات بالنسبة للدول النامية ، تنتهي بتفريغ المواطن من وطنيته وقوميته وهويته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي ،

بحيث لا يبقى منه إلا خادم للقوى الكبرى التي تسمي نفسها بالنظام العالمي الجديد وما هو إلا استعمار جديد شامل ، والعولمة هي صناعة الأسواق الشاملة التي تضمن لأمريكا عالمية التصدير وأولية السيادة وصنع القرار وسيطرة رؤوس الأموال الفلكية على كوكبنا الأرضي بأكمله .

وفي مقابل هذا العدوان على كل ما هو إسلامي تجري التوسعة على كل ما هو إسرائيلي ، فالتوراة وسلطان الحاخامات هي مقدسات لا تُمس ، والصهيونية وهي عنصرية تقوم على التعصب الديني البغيض لا أحد يقترب من حماها ، بل تصدر هيئة الأمم المتحدة قراراً بإزالة تهمة العنصرية عنها ، وتسلحها أمريكا بالأسلحة النووية والكيميائية وبجميع المحظورات التي لا تباح لأي بلد عربي أو إسلامي .

فرنسا تقيم الدنيا ولا تقعدها من أجل بنات مغربيات يلبسن الحجاب ، وهل في الإيشارب الذي تضعه الفتاة على رأسها خطورة على الأمن الفرنسي ؟ ، إنهم يضمرون العداء لكل ما هو إسلامي ، وأمام كل هذا تتعاظم مسئوليتنا عن إسلامنا ويغدو واجباً علينا حماية الأجيال القادمة وحماية ديننا الحنيف المتهم ، وذلك بأن نجلي هذا الدين وكمالاته لكل دارس ، ولا نلجأ إلى تقليص المناهج والمقررات الإسلامية خاصة في الدراسة الأزهرية بالذات ؛ فالأزهر هو المرجع الوحيد لعلوم الأصول الإسلامية وهو الحافظ الوحيد لهذه الأصول من الضياع والتشويه .

***

(٣) قراءة المستقبل

انتهى عهد الاستعمار العسكري وبدأ عهد الغزو الفكري والاستعمار الأيديولوجي في حروب اليمين واليسار وفتنة الماركسية والشيوعية ثم أتت نهاية ذلك كله حتى في داخل القلعة السوفيتية .

وانتهت خرافة الحروب الكبرى بعد الحربين الأولى والثانية ، فلن تقوم حروب كبرى مثيلة ، وبدأ الكبار يجلسون للتفاهم في الصغيرة والكبيرة ، فهذا عصر الديمقراطية ، وولدت قوة جديدة هي القوة الاقتصادية وصارت الأسلحة الجديدة هي العقل المخترع والأيدي المنتجة .

أصبحت الموضة الجديدة هي التجمعات ، والتجمع يحتاج إلى نبذ الشخصانية والطائفية والعصبية وإلى نشأة روح الجماعة وأخلاقيات الجماعة وتقاليد الأسرة ، فهل نستطيع أن نفعل هكذا كعرب ليكون لنا تجمع عربي وندخل إلى القرن الواحد والعشرين كجبهة كبيرة عاملة ؟!.

ومع هذا التطور ستأتي الحرية فهي الوقود الحيوي لهذا الاندفاع الحضاري ، وسيحدث تغيير آخر في النظم والحكومات المقبلة ، هذا التغيير اسمه اللامركزية ، فلن تكون للتجمعات قبضة مركزية وإنما سوف تتألف من وحدات حرة أشبه بالولايات الصغيرة تتمتع بالحرية واللامركزية في إصدار القرار ويجمعها اتحاد فيدرالي مرن .

ومع الحرية سيأتي الانحلال والانفلات الجنسي وستنهار الأسر الصغيرة رغم ميلاد الأسر الكبيرة ، ولن يحمي الأسر الصغيرة سوى وجود القِيم الدينية وظهور القيادات الروحية من وقت لآخر كآية من آيات رحمة الله تعالى .

وستكون هموم العالم الجديد حسب أولوياتها هي :

١ـــ القنبلة السكانية .

٢ ـــ قنبلة المخدرات .

٣ ـــ الانحلال .

٤ ـــ التلوث .

٥ ـــ التضخم .

٦ ـــ الأمراض الفيروسية الجديدة الناشئة من الإباحية الجنسية .

٧ ـــ انتشار الجنون والاكتئاب والانتحار .

لأتفه الحوادث تتهم العلمانيةُ الإسلام والأزهر والصحوة الدينية ، وكل مقصد العلمانيين أن يقولوا إن هوج بعض الشباب المتلفح بالإسلام دليل قاطع على أن نظام الحكم العلماني هو الأمثل لأمن مصر ، وأذكرهم فأقول:لبنان نظامها علماني فهل أرسى فيها قواعد الأمن ؟ ، والحبشة يحكمها (منجستو) بنظام علماني وهي تئن من الجفاف والمجاعة والحروب الأهلية !.

إن مشاهد الفن الساقط المبتذل مع مظاهر الغنى الفاحش والفقر المدقع يمكن أن تستفز أي شاب متهوس وتدفعه إلى الجريمة .

إننا نعاني من مشكلات عديدة ، نعاني من الجفاف والديون والتصحر وأزمة الطاقة وأزمة الغذاء والبطالة والانفجار السكاني والإرهاب والمخدرات والانحلال وتفشي الكذب والخيانة ، وأزمة الضمير والرشوة والسرقة وكثرة الأحزاب المتناحرة والأفكار المستوردة وغير ذلك كثير .

والعيب في المُناخ العام وفي التعليم الهابط والنمط الاشتراكي للحياة والجشع المادي والسلوكيات الأنانية وروح السلبية والكسل وعدم المبالاة وعدم الانتماء وثقافة التسلية وقتل الوقت وأغاني الكباريه ورقص المواخير !! .

إن أكثر القيادات التي تتصدى لهذه المرحلة التاريخية من حياتنا هي للأسف دون مستوى المسئولية ودون مستوى المرحلة بكثير ، والتيار الإسلامي رغم انحراف القلة وضياعها في الشكليات مازال هو القادر على التنوير والتغيير والتأثير بإيقاظ الضمائر وتحريك القلوب ، فتغيير النفس لا يتم إلا بالتنوير الديني .

(الإسلام هو الحل) ، الإسلام في حقيقته وجوهره إسلام العلم والعمل ومكارم الأخلاق ، إسلام الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية ، إسلام الفكر والفعل وليبدأ كل واحد بنفسه.

يجب أن تتحرر الإرادة المصرية ، يجب أن نتحرر من الأُطر العتيقة المعطلة والنظم الشمولية المعوقة ، ولنتعلم كيف ندير مواردنا ونستثمرها بحكمة دون فاقد ودون عادم يبتلع كل الإنتاج ، ولنتجنب الحروب الخارجية والمغامرات العسكرية ببناء القوة العربية الذاتية لردع أي خصم يفكر في عدوان .

وأعود فأقول : ليس الحل في تغيير نظام الحكم ، بل الحل في إصلاح الإرادة وبالترشيد وحسن الفهم وحسن التوجيه .

***

(٤) إسرائيل .. البداية والنهاية

قامت أمريكا بدور الحاضنة والمرضعة للفرخ الإسرائيلي الكسيح ! ، أرضعتها بالتكنولوجيا المتقدمة ودبابات الليزر وصواريخ الباتريوت ومقاتلات الشبح وأطنان اليورانيوم المُخصّب الذي صنعت منه إسرائيل قنابلها الذرية بإرشاد أمريكي بل وإشراف أمريكي وحماية أمريكية من أصوات الاحتجاج والاستنكار .

بالإضافة إلى الإرضاع الأخطر بالأسرار المحظورة وبصور الأقمار الصناعية لترسانات دول الجوار وحظائر طائراتها ومكامن دفاعاتها ونقط ضعفها وثغراتها ، والإرضاع الآخر بمليارات الدولارات والضمانات المالية المفتوحة بلا حساب والتأييد السياسي الأخطر من الكل ، بالإضافة إلى العلاقة الآثمة والتآمرية بين مخابرات الدولتين الـ CIA والموساد ، هذا التوأم الذي تعاون وتحالف على تسميم الجو ونسف العلاقات بين الدول العربية والإيقاع بالعرب كلهم في مصيدة حرب الخليج .

وفي عام ١٩٩٧ يتم مرور مائة سنة على ميلاد أول اجتماع صهيوني والسنة الألفين في الطريق ، والشعار الصهيوني أصبح **It is Now Or never** الآن تكون إسرائيل الكبرى أو لن تقوم لنا قائمة ، ولكن في الجانب الآخر هناك العرب والدول العربية والدول الإسلامية في الدائرة الأوسع ، كتلة من ألف مليون أرجو أن يكون لها رد فعل وتصور واضح وتحرك سريع ومنظور للمستقبل وللحوادث .

وعندنا أعواننا وأحلافنا والبترول وكنوز الأرض وعندنا ما نعد به ، وقبل كل شيء هناك الله ، أعظم الكل ، مالك الملك يدبر الأمور بعدل وحكمة.

المشكلة اليهودية هي في اليهود أنفسهم وليست في اضطهاد العالم لهم : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٦٤) المائدة .

وليس القرآن الوحيد الذي اتهمهم ، بل اتهمهم أنبياؤهم من قبل القرآن ومن قبل الإنجيل " وسيوفهم تأكل أنبياؤهم " وتآمروا على عيسى ليقتلوه بعد أن قال لهم : " أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضكم " وجاءهم محمد صلى الله عليه وسلم مؤيداً بالروح القدس ليدعوهم إلى المودة والرحمة فقدموا له كتف الشاة المسمومة .

ويأتي الأخ المسيحي لطفي الخولي ليخاطب عقلاءهم وليحوّل قلوبهم ولكنه واهم مازح ، أينجح فيما جاهد فيه الأنبياء فلم يفلحوا في تغيير تلك القلوب اليهودية السوداء ؟! ، يقولون في بروتوكولاتهم : (**علينا أن نشعل الثورات ونؤجج الفتن .. فإذا نجحت ثورة فإنها سوف تأتي بالفوضى أولاً ثم بحكم الاستبداد ثانياً وسنكون القوة الخفية التي تعمل من وراء هذا الحكم المستبد عن طريق وكلائنا .. إن علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من هذا العالم وأن نضع مكانها عبادة المصلحة والمال والجاه والدنيا .. علينا أن نزين الشهوات ونقيم للمحراب البديل .. محراب اللذات والأطماع .. وعلينا أن نقيم عالماً من التجارة والمضاربة والبورصات وبهذه الشباك المحكمة سوف يعبر المال من خلال هذه المضاربات المحمومة إلى خزائننا .. ولن يصل إلى أيدي سوانا إلا الفتات**) .

إنهم لا يهزلون وما يجري بالفعل مصداق لخططهم وبروتوكلاتهم ، إن المشكلة اليهودية هي في العقلية اليهودية نفسها وهي للأسف عقلية صهيونية توسعية هدفها الأول السيادة وداؤها العضال الذي لا شفاء منه هو الشعور بالامتياز وبأنهم الصحبة المختارة من الله وبأنهم الأولى بالسيادة على البشر .

إننا نحن المسلمين في رباط على حدودنا لندافع عنها وفي رباط على حدودنا العربية لنشد من أزر هذه الوحدة ونجعل منها صفاً واحداً كالبنيان المرصوص

نواجه به الطامعين حولنا ، ونحن نأخذ بعلوم العصر لنطور اقتصادنا وصناعتنا وزراعتنا وتجارتنا لنكون أكثر حضوراً في زمن لا حضور فيه إلا للأقوياء .

والإيمان بالله هو المناعة التي ستتفوق بها على غيرنا من الذين سبقونا في تنمية أجسامهم واقتصادهم وثرواتهم ، ومن الذين أهملوا ضمائرهم وأغفلوا إلههم وخالقهم والله هو سلاح الأسلحة وينبوع القوى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) ﴾ الحج ، وهو تهديد مبطن لمن يفكر في الاعتداء على مؤمن بشرط استنفاد المؤمن لكل حيله ووسائله وبشرط إيمانه وطاعته وتوكله :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) ﴾ محمد .

***

(٥) أكذوبة اليسار الإسلامي

شر أنواع الافتراء الذي يروجه الشيوعيون هو القول بأن الإسلام يساري أو أنه بدأ يسارياً على يد محمد عليه الصلاة والسلام ، ثم انشق إلى يمين ويسار ، فأبو بكر يمين وعمر بن الخطاب يسار ، ثم تغلب الاتجاه اليميني على يد التابعين من أمويين وعباسيين وانتهى بالإسلام إلى مُلك عضوض رجعي وإلى يمين محافظ متخلف .

وهو نوع من التلبيس الساذج ومحاولة لتطويع الإسلام للأغراض المادية الجدلية ومكائدها ومحاولة لاصطياد الشباب الإسلامي إلى شِراك العصبية اليسارية .

العدالة الاجتماعية في الإسلام هي نتائج تأتي بالتبعية للتوحيد وتقوى الله وطاعة وصاياه ولكنها ليست جوهر التنزيل ، ثم إن ثورات لينين وجيفارا وكاسترو وغيرهم من أئمة المكر البشري كانت كلها تحاول أن تنصف الفقراء بالانتقام من الأغنياء ، والعدالة في تلك الثورات لم يكن لها من سبيل إلا نزع الملكيات والمصادرة والاعتقال وفرض الحراسة والتعذيب ولذلك انتهى الإصلاح الاقتصادي في كل منها إلى الانهيار الاقتصادي ؛ لأن الانتقام من القلة النشطة المنتجة أدى إلى هجرتها وتركها للميدان والهرب بخبراتها وترك البلاد تستغلها طبقة جديدة من أعضاء الحزب وألوف الموظفين الكسالى الذين فقدوا الحافز فأخلدوا إلى النوم في مكاتبهم وبذلك هبط الإنتاج وانتهت الثورة إلى شعارات فارغة .

أما العدالة الاجتماعية في الإسلام فسبيلها مختلف تماماً ، فهي تحاول أن تحيي ضمير الأمة وأن تنشر المحبة والإخاء وتعالج الأمر من جذوره بأن يضع الغني يده في يد الفقير ويدفع عن رضىً واقتناع حقاً معلوماً من ماله زكاة وإنفاقاً وضرائب .

جاء الإسلام مقرراً المساواة في الفرص ، وضمان حق الكفاية للمواطن وتحقيق التوازن الاقتصادي بين الفرد والمجتمع ، وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ومبدأ الاقتصاد الحر المُوجه ، وتحدّى بذلك الماركسية ومنهجها التاريخي وحساباتها المادية التي

تحتم انبثاق كل انقلاب سياسي من انقلاب مناظر في نظام الإنتاج وعلاقاته ، وليس للعلم مكان في كلامهم ، بل هو تلفيق وضعوا عليه بطاقة الاشتراكية العلمية زوراً وبهتاناً ، ثم إذا قالوا إن المادة قديمة وبأنها جاءت بلا خالق ألا يُسقطون بذلك قانون السببية ويُسقطون بالتبعية العلم كله الذي يقوم على السببية ؟! .

لقد أخطأ ماركس في تنبؤاته لأنه لم يكن علمياً في حساباته .

باسم الوحدة العربية قامت مذاهب وسقطت نظم وَوُلدت زعامات ، وأدركت الكتلة الغربية وأمريكا أن الوحدة على الأرض العربية معناها قيام أقوى دولة في العالم تملك المال والطاقة والعقيدة واجتماع هذه الأسلحة الثلاثة لأمة معناه العظمة والقوة التي تُقهر ، ولذلك اتفقت جهود الكل على ضرب الوحدة وتفتيتها في جميع العهود .

واختلفت أسلحتهم من استعمار سافر يحتل الأرض إلى استعمار منهجي إلى استعمار اقتصادي إلى غزو فكري إلى دعوات انحلالية تبدد طاقات الشباب ، وينسى زعماء الوحدة أن الذي أعطاهم لغة واحدة يتكلمون بها والذي صنع منهم أمة عربية لها تاريخ هو الإسلام والقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن قبل الإسلام لم يكن هناك وجود لشيء اسمه أمة عربية وإنما قبائل متناحرة وبلاد متخلفة تتكلم عدة لغات وشعوب تدوسها خيول الروم والفرس والمقدونيون والمغول والهكسوس .

المتدين لا يعرف إلا صراطاً واحداً مستقيماً ليس فيه يمين ولا يسار لأن الحق عنده واحد ، وليس على يمين الحق ولا على يساره إلا الباطل ، ولم ينقسم الدين إلى فِرق واتجاهات إلا بظهور الأهواء والمصالح الشخصية وبظهور موجة التقليد للفلسفة الإغريقية ومذاهبها وإنما هو فِرقة واحدة ومنهاج واحد وصراط واحد : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾ الأنعام .

الفصل الثالث

معارك حامية

(١) القرآن والفهم العصري

(٢) الشفاعة أم الشناعة

عن كتابات الدكتور الراحل مصطفى محمود وآرائه في الفكر الإسلامي ومعاركه الجريئة في بعض القضايا الشائكة والحساسة فحدِّث ولا حرج ! ، فهو صاحب الكتب والبحوث التي أثارت من المعارك وردود الأفعال ما ظل يشغل الساحة الفكرية الدينية لفترات طويلة ، فقد اشتبك فكرياً مع العديد من أعلام الفكر والدين في موضوعات مازالت إلى الآن محل خلاف .

لعل من أشهر هذه المعارك معركته مع الدكتورة عائشة عبد الرحمن ــ بنت الشاطئ ــ حول كتاب "القرآن محاولة لفهم عصري" فقد كانت من أعنف المعارك الفكرية حول الإعجاز العلمي للقرآن ، ودارت هذه المعركة الفكرية في أوائل السبعينيات على صفحات جريدة الأهرام ، وتحديداً أهرام الجمعة ، وعلى مدار شهرين كاملين (مارس ، أبريل) وكانت الدكتورة عائشة عبد الرحمن ترد على مقالات الدكتور مصطفى محمود التي كان ينشرها آنذاك على صفحات مجلة (صباح الخير).

وبعد مُضِي وقت ليس بالطويل ثارت أزمة جديدة بسبب كتابته سلسلة مقالات في جريدة الأهرام أواخر التسعينيات عارض فيها القائلين بوجوب شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام يوم القيامة ، كما دعا إلى تنقية الأحاديث النبوية التي قال إنها : "تعرضت للعبث من بعض (الوضّاعين)" ، مما وضعه في مرمى نيران الأزهر ورجاله الذين اتهموه بإنكار الشفاعة والتشكيك في الأحاديث النبوية ، واعتبروه منكراً لآيات القرآن الخاصة بالشفاعة والأحاديث النبوية إلى حد قيام الدكتور عبد المنعم نجم رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر باتهامه بالإلحاد والكفر لتصل إلى الأزمة الشهيرة : أزمة كتاب الشفاعة ، عندما قال : "إن الشفاعة الحقيقية غير التي يروّج لها علماء الحديث" ، وقتها هُوجم الرجل بألسنة حداد وصدر أربعة عشر كتاباً للرد عليه على رأسها كتاب الدكتور

محمد فؤاد شاكر أستاذ الشريعة الإسلامية ، وكان رداً قاسياً للغاية دون أي مبرر واتهموه بأنه مجرد طبيب لا علاقة له بالعلم !.

لم يراعِ أحد شيبة الرجل ولا تاريخه العلمي والديني وإسهاماته في المجتمع ، وفي لحظة حوّلوه إلى مارق خارج عن القطيع ، وحاول أن ينتصر لفكره ويصمد أمام التيار الذي يريد رأسه ، فقال: "إن العاصي عليه أن يتوب ويثوب إلى رشده ويرجع إلى رحاب الله تعالى وأن التوبة أساس قبول الأعمال يوم القيامة ، وقيّد الشفاعة بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ (٢٣) ﴾ سبأ ، فهاجمه الكل ونسوا فضله وعلمه ولم يتعامل مع الموضوع بحيادية إلا فضيلة الدكتور نصر فريد واصل حيث قال:"الدكتور مصطفى محمود رجل علم وفضل ، ومشهود له بالفصاحة والفهم وسعة الإطلاع والغيرة على الإسلام ؛ فما أكثر المواقف التي أشهر قلمه فيها للدفاع عن الإسلام والمسلمين والذود عن حياض الدين ، وكم عمل على تنقية الشريعة الإسلامية من الشوائب التي علقت بها ، وشهدت له المحافل التي صال فيها وجال دفاعاً عن الدين" .

إن الدكتور مصطفى محمود لم ينكر الشفاعة ، فرأيه يتلخص في أن الشفاعة مقيدة ، ولقد اعتمد على آراء علماء كبار على رأسهم الإمام محمد عبده ، لكنهم حمّلوه الخطيئة وحده !.

***

(١) القرآن والفهم العصري

يعد كتاب "القرآن محاولة لفهم عصري" من الكتب القليلة التي لم أكن أتمنى الانتهاء من قراءتها ، فأنا أستمتع بها دائماً في كتابات الدكتور مصطفى محمود ، فطريقة شرح الفكرة ووجهة نظر الكاتب في بعض الآيات والاستشهاد ببعض الأحداث ومحاولة التأمل الراقية التي حاول بها تفسير الآيات ، كل هذا يحفز على قراءة الكتاب ومواصلة الرحلة مع أفكاره.

من أول التفسيرات التي ناقشها هي تفسير كيف أن القرآن أصبح لا تجد آذاننا منه السحر والذهول كما كان يحدث ممن سبقونا لبلاغته وحقائقه ، ويرى الدكتور مصطفى أن هذا بسبب أننا ونحن صغار كنا نحفظ القرآن بالحفظ وليس بالفهم ، بالإضافة إلى أن لغتنا العامية أبعدتنا عن أصول لغتنا الفصحى مما أجهلنا بمعاني كثيرة كان من الممكن أن نفهمها ، ولكن رغم هذا فإنك إن حاولت وفحصت وبحثت ودققت فستشعر بالقرآن وتبحر في سهولة نسقه ومعانيه وأسراره ، كما أن لحظة صفاء ينزع الواحد فيها نفسه ويرتد فيها طفلاً بكراً وترتد له نفسه على شفافيتها ، كفيلة بأن تعيد إليه ذلك الطعم الفريد ، كما يعبر عن ذلك الدكتور مصطفى محمود .

(إنك لتشعر بشيء غير بشري تماماً في هذه الألفاظ الهائلة الجليلة المنحوتة من صخر صوان وكأن كل حرف فيها جبل الألب ، لا يمكنك أن تغير حرفاً أو تستبدل كلمة بأخرى أو تؤلف جملة مكان جملة ، تعطي نفس الإيقاع والنغم والحركة والثِقل والدلالة ، ولهذا وقعت العبارة القرآنية على آذان العرب في الجاهلية الذين عشقوا الفصاحة والبلاغة وقع الصاعقة) .

وفي مسألة الاختيار والجبر التي يناقشها الناس منذ قرون يقول الدكتور مصطفى محمود : "إنك مُخير تماماً في أفعالك ولك مطلق الحرية في أن تؤمن أو تكفر . فلماذا لا

يجعلنا الله كلنا مؤمنين موحدين وينتهي الأمر ؟ ، ولكن هذا يعتبر نقضاً لحريتنا فإن الحق إن ظهر كالشمس لن يستطيع غير مؤمن اختيار شئ آخر غير ذلك ! .

ويرى الدكتور مصطفى محمود أن حرية الإنسان حقيقة برغم ما يقوم حولها من حدود ومقامات وأن الإنسان حر حرية مطلقة في منطقة ضميره فهو يستطيع أن يضمر ما يشاء ، وحر حرية نسبية في التنفيذ في منطقة الفعل والعمل ، بحسب ما يقوم حوله من حدود ومقاومات ، وتلك الحرية المعطاة للإنسان كانت بمشيئة الله ومراده : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) ﴾ يونس : و ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) ﴾ الكهف .

وبهذه الحرية التي قبلها الإنسان مختاراً حقت عليه المسئولية والمحاسبة : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) ﴾ المدثر ، و: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) ﴾ الإسراء .

والصلة بين الإنسان وربه مباشرة فلا مكان للوساطة الكهنوتية : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ البقرة ، فلم تقم لرجال الدين دولة ولم يقم لهم كهنوت ولم ترتفع لهم وصاية على مصائر الخلق .

بل حث الإسلام على الحرية ، تحرر نفسك بأن تفك عنها أغلال استعبادها للآخرين ، تبلغ الحرية بأن تحرر غيرك ، وجاء القرآن ليكون الكتاب السماوي

الوحيد الذي يأمر بالعتق وفك الرقاب ، أوامر صريحة بألا يستعبد إنسان إنساناً ويقيم من نفسه رباً وإلهاً عليه.

ومن أكثر التفسيرات التي أدهشتني حقاً في قمة الإقناع العقلي والفلسفي هي تناول الدكتور مصطفى محمود لقضية الروح وما يترتب عليها من وجود حساب بعد الموت وحياة أخرى وقضايا أزلية أخرى وذلك ما ينكره بعض معتنقي المادية .

وحقيقة البعث ظاهرة ومؤكدة ، لكن الكثير يتصرف ويعيش كما لو أنه سوف يُخلد في الأرض : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾ يونس .

فأكثر الناس لا ينظرون إلا للنفع العاجل القريب الملموس ، فهم عبيد لشهواتهم ومَعِدتهم ، أما في مشكلات الفكر والعلم فتكون القيادة صدقاً وعدلاً للصفوة ، على أن تكون المشورة بين أهل العلم هي القاعدة ، وليس الاستبداد بالرأي :

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) ﴾ الشورى ، إن الهيمنة الداخلية على جميع عناصر الجسد ومفردات الغرائز هي الكاشفة عن ذلك العنصر المتعالي والمفارق الذي تتألف منه الذات الإنسانية .

إن الروح حقيقة ، وهي متجاوزة للجسد عالية عليه لا يجري عليها حدث الفناء ، فهي باقية خالدة لها يوم وميقات وآخرة تلقى فيها خالقها.

***

وفي آية : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) ﴾ العنكبوت .

أترى كمية التحدي والقوة والثقة وذروة التعبير في تلك الكلمات ؟! ، خاصة بعد أن تعرف أن خيوط العنكبوت ــ علمياً ــ هي أقوى من مثيلتها في مادة الصُلب ثلاث مرات ! ، لذلك في قمة الدقة لم يقل : خيوط العنكبوت ، وإنما قال : بيت العنكبوت ، وبيت العنكبوت هو أوهن البيوت بحق ، فالأنثى تأكل زوجها بعد عملية التلقيح وأي ضيف يأتي قرب البيت تلتصق الخيوط به ويتحول إلى وجبة للأسرة المتبقية من المعركة السابقة ! ، بذلك فهو يفتقد معنى البيت والأمن والطمأنينة .

ويؤكد الدكتور مصطفى محمود أن العلم كشف مؤخراً أن أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت وليس الذكر ، وهي حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة أيام نزول القرآن ، وترد عليه الدكتور بنت الشاطئ فتقول : "إن القرآن في هذه الآية يجري على لغة العرب الذين أنثوا لفظ العنكبوت من قديم جاهليتهم الوثنية ، كما أنثوا مفرد النمل والنحل والدود ، وهو تأنيث لغوي لا علاقة له بالتأنيث البيولوجي كما توهم المفسر العصري ، فأين الإعجاز العلمي في هذا الكلام ؟!.

وعلى هذا المنوال يمضي أمام الإعجاز العلمي في كتابه فيستنبط الإعجاز العلمي من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) ﴾ يونس ، بأنه لا تفسير لها إلا أن تكون الأرض كروية دوّارة نصفها ليل ونصفها نهار .

وهذا تفسير في منتهى التعسف ؛ فقد جرى على لسان العرب : "آتيك ليلاً أو نهاراً" ، دون أن يدعي أعرابي أنه قد أتى بالإعجاز العلمي).

وأرى في كلام الدكتورة بنت الشاطئ تعسفاً حقيقياً ضد حديث الدكتور مصطفى محمود عن الإعجاز العلمي ، فإن العربي إذا كان يقول : آتيك ليلاً أو نهاراً ، فإن القرآن قد أتى بلغة العرب وعلى أمثلتهم ليؤكد في آنٍ واحد بلاغته وإعجازه ، حيث لم يكتشف العلماء دورة الليل والنهار إلا بعد قرون طويلة من نزول القرآن ، وقد أثبت العلماء وجود الإعجاز العلمي في القرآن ، وقد اكتُشفت حقائق علمية كثيرة في العصر الحديث أشار إليها القرآن منذ زمن طويل وهذا يؤكد إيماننا بأن القرآن كلام الله وليس من تأليف نبيه الأمي ، ومن هنا كانت أمية الرسول صلى الله عليه وسلم في ميزان صدقه وصدق نبوته ورسالته .

***

إن المشكلة الأساسية عند الدكتورة بنت الشاطئ هي قناعتها بأن تفسير القرآن غير متروك للاجتهاد ــ كما يتصور عامة المثقفين ــ وإنما هو علم دقيق له قواعده في الضبط والأداء وتقول : إن نظم الدولة في أي بلد إسلامي لا تجيز لقارئ مصحفي أن يتلو القرآن في الناس في مسجد أو إذاعة أو مكتب لتحفيظ القرآن أو أي محفل عام ، فكيف بالتفسير لمن لم يُصح قراءته فيسوق الآيات في مقالات "صباح الخير" ثم في الكتاب المطبوع ، سرداً متتابعاً بغير فواصل ضابطة للسياق محددة للمعنى؟.

ورأيي أن الدكتور مصطفى محمود لم يدّعِ أنه فسر القرآن أو حتى بعض آياته ، ولذا فكلام الدكتورة بنت الشاطئ على أن تفسير القرآن لا يمكن أن يترك مشاعاً للمثقفين كلام صحيح تنقصه نقطة صغيرة وهي أن تفهم الدكتورة المبجلة أن الكتاب الذي قدمه الدكتور مصطفى محمود على أنه "محاولة لفهم عصري" ما كان تفسيراً للقرآن ، وإنما كان مجرد خواطر خاصة حول بعض آيات القرآن وإثباتاً للإعجاز العلمي في القرآن ، وفي كلا الأمرين لم يكن الدكتور مصطفى محمود مبتدعاً ، بل لقد سبقه الكثير من العلماء في عرض خواطرهم حول القرآن وعلى

رأسهم فضيلة الشيخ الراحل محمد متولي الشعراوي ، كما أثبت الكثير من العلماء والمستشرقين الإعجاز العلمي كأحد أنواع الإعجاز في القرآن الكريم .

فلِمِ كل هذا الهجوم على الدكتور مصطفى محمود من الدكتورة بنت الشاطئ ؟! ، إنه هجوم ليس له ما يبرره ولا ما يؤيده من منطق الشرع أو العلم أو الاثنين معاً !!.

***

(٢) الشفاعة أم الشناعة ؟!

جاء كلام الدكتور مصطفى محمود وحديثه عن الشفاعة في توقيت كثر فيه المهاجمون للإسلام وشريعته الغرّاء ، فهذا ينكر الميراث وذاك ينكر الزكاة وآخر يعترض على اجتماع الحجيج يوم عرفة ، وآخر يزعم أن الحجاب ليس من الإسلام .. إلخ.

وبالطبع فإن جواز مرور هؤلاء إلى هذه الترهات أو إن شئت قلت الكفريات ، هو إنكار السُنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام .

لكنَّ الدكتور مصطفى محمود لم ينحُ منحاهم ولم يسلك مسلكهم ، فلم ينكر معلوماً من الدين بالضرورة ولم يتعدَ على السُنة المطهرة ولم يُكذب أحاديث معينة واردة في كتب السنة الصحيحة ، إنه اجتهد فحسْب في فهم بعض المفاهيم معتمداً على علمه الغزير وثقافته الدينية الواسعة وسعة اطلاعه ، ولم يكن ـــ رحمه الله ـــ يتصور مجرد تصوُّر أنه سيُكرَّن بفهمه وذلك بعد سياحته المستمرة الطويلة في كتب العلم ودفاعه المستميت عن الإسلام وشريعته وأمته ، لم يكن يتصور أن يهاجم بهذه الضراوة من علماء الدين الذين يُكن لهم كل تقدير واحترام ، بل لم يكن يظن أن يقول عليه بعضهم :" وفي هذه الأيام أطل علينا طبيب بكلام غير مصطفى وفعل غير محمود ، وتقيأ علينا ما في بطنه من سموم ، ووضعها في كتاب أسماه خطأ "الشفاعة" هو أقرب إلى الفضيحة والشناعة ، تهجم فيه على كلام الله القرآن العظيم واتهمه بتيئيس الناس وتقنيطهم من رحمة الله ، بل ذهب إلى القول في بعض آياته بأنها تحصيل حاصل ، حيث قال في شناعته

: "ونحن لا نريد عذاباً لأحد ، ونحن مثل غيرنا أهل ذنوب ونلتمس المخرج من أهوال هذا اليوم ، ولكنّ القرآن لا يفتح لنا باباً إلا ويسدُّه ، فهو يقول : ﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣) ﴾ سبأ ، و: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾ البقرة ، نفس معنى الآية السابقة وبها استدل الدكتور مصطفى محمود كذلك على أن الشفاعة مقيدة وليست مفتوحة على مصراعيها كما صورها البعض ، وهذا المعنى هو ما يقوله الشيخ الشعراوي في تفسيره لهذه الآية : "إن الشفاعة لا يمكن أن تكون عند الله إلا لمن أذن له الله أن يشفع ، فالشفاعة ليست حقاً لأحد ، ولكنها عطاء من الله سبحانه وتعالى لمن هم أهل لها " .(٣)

وفي قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (١٢٣) ﴾ البقرة ، يقول الإمام الشعراوي : "نفترض أن حاكماً غضب على أحد من الناس وقرر أن ينتقم منه أبشع انتقام فيأتي صديق لهذا الحاكم ويحاول أن يجزي عن المغضوب عليه ، فيما لهذا الرجل من منزلة عند الحاكم يحاول أن يشفع للطرف الثالث ، وفي هذه الحالة إما أن يقبل شفاعته أو لا يقبلها ، فإذا لم يقبل شفاعته فإنه سيقول للحاكم :

---

(٣) إنكار الشفاعة:جمع ودراسة وتحقيق عبد الله حجاج.مكتبة التراث الإسلامي ص١٠٥ بتصرف يسير .

أنا سأسدد ما عليه ، أي سيدفع عنه فدية ولا يتم ذلك إلا إذا رُفضت الشفاعة فإذا كانت المسألة في يوم القيامة ومع الله سبحانه وتعالى ، يأتي إنسان صالح ليشفع عند الله تبارك وتعالى لإنسان أسرف على نفسه ، فلابد أن يكون هذا الإنسان الْمُشَفَّع من الصالحين ويؤذن له في الشفاعة ، حينئذ تقبل شفاعته " وقرأ قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ﴾ الأنبياء.[٤]

ونحن بهذا الحديث السابق لا نجد اختلافاً يُذكر بين ما أقره الإمام الشعراوي وما فهمه الدكتور مصطفى محمود رحمهما الله ، فلِم الهجوم إذن على الدكتور مصطفى محمود ؟! .

ومما ورد عن العلاّمة فخر الدين الرازي[٥] في حديثه عن الشفاعة :﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) ﴾المائدة ، إن هذه الشفاعة من عيسى عليه السلام إما أن يقال :

ـــ إنها كانت في حق الكفار .

ـــ أو في حق المسلم المطيع .

ـــ أو في حق المسلم صاحب الصغيرة .

ـــ أو المسلم صاحب الكبيرة بعد التوبة .

ـــ أو المسلم صاحب الكبيرة قبل التوبة .

والقسم الأول باطل لأن المغفرة لا تليق بالكفار ، والقسم الثاني والثالث والرابع باطل ؛ لأن المسلم المطيع والمسلم صاحب الصغيرة والمسلم صاحب

---

(٤) السابق :ص١١٥

(٥) العلامة فخرالدين الرازي معتزلي المذهب.

الكبيرة لا يجوز بعد التوبة تعذيبه عقلاً ، "لكن عند أهل السنة والجماعة قبول التوبة مفوض إلى الله" ، وإذا كان كذلك لم يكن قوله :(إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ) لائقاً بهم ، وإذا بطل ذلك لم يبق إلا أن يُقال : إن هذه الشفاعة إنما وردت في حق المسلم صاحب الكبيرة قبل التوبة ، وإذا صح القول بهذه الشفاعة في حق عيسى عليه السلام صح القول بها في حق محمد صلى الله عليه وسلم .(٦)

والدكتور مصطفى محمود لم يقل كلاماً مخالفاً به قول الرازي ، لكنه فقط قيد الشفاعة حتى لا يتكل عليها متواكل ويترك التوبة ، فقد أكد أن التوبة جزء راسخ في شخصية المسلم المؤمن بالبعث والحساب حيث يقول : (لايكن الهدف من الشفاعة "المفتوحة" إفساد الدين والتحريض على التسيب والانحلال وفتح باب الجنة "سبهللة" للكل لأن الشفيع سجد عند قدم العرش وقال متوسلاً : لا أبرح حتى تدخل كل أمتي الجنة يارب) .

وكلامه رحمه الله ليس فيه أي تهوين من قدْر الشفاعة ولا استهزاء بها ،كما زعم معارضوه ،بل يؤيد رأيه في وجوب التوبة أن هناك أقواماً من العصاة الذين لم يتوبوا قبل الموت سوف يعذبون في النار عدد سنين ثم يُخرجون منها بشفاعته صلى الله عليه وسلم ، "أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من لا إله إلا الله" كما يأمر الله تعالى ملائكته الكرام .

وإذا كانت هناك شفاعة لأهل الكبائر كما يقول الفخر الرازي وفقاً للأحاديث الشريفة التي تثبت ذلك ــ وإن لم يتوبوا قبل الموت ــ فذلك أمر وارد في حديث صحيح لا ينكره الدكتور ولا سواه بل كا ما أكده وأصر عليه هو ضرورة التوبة وحتميتها وعدم التواكل على الشفاعة ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ قُل لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ

---

(٦) السابق:ص٧٩ .

جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) ﴾ الزمر ، وقوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) ﴾ .

وقد أثبت حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن الشفاعة تكون لأهل الكبائر الذين ماتوا على غير توبة : "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" رواه أحمد ، وفيه قال العلماء : شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها ، وقد تواترت بهذا الأحاديث وخفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة فخالفوا في ذلك جهلاً منهم بصحة الأحاديث .

وفي ختام الحديث عن موضوع الشفاعة أقول :

إنّ الدكتور مصطفى محمود قد جاهد في الله حق جهاده ولم يكن يخشى في الحق لومة لائم وذاد عن حياض الإسلام كثيراً حتى أتاه اليقين ، فإن كان قد خالف ــ إن كان ــ الأئمة في فهم بعض النصوص الصحيحة التي لم ينكرها ، بل ربما خانه فهمه فيها ، فإن لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة ، وإن كان الله في جلاله وقدره سيحاسب العباد الصالحين كما حاسبوا هم الدكتور مصطفى محمود فإن معظم البرية ممن شهد بالشهادتين داخلون النار لا محالة ، ولكنّ الله برحمته الواسعة يقول في محكم تنزيله : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ الزمر ، ويقول تعالى أيضاً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾ النساء ، وقوله في السورة نفسها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦) ﴾ .

والدكتور مصطفى محمود يحارب الشرك كله ــ خاصة الشرك الخفي ــ حيث يقول : "وما حدث من تدهور حالة المسلمين ، سببه : هو هذا اللون من الشرك الخفي ، قبول أن يكون لله شريك في حكمه يشفع عنده ليخرج من أدخله النار ، والشرك الخفي هو الآن حالة عامة فقد أصبحت لنا محبوبات كثيرة في هذه الدنيا تأخذنا وتسلبنا من حالة التفكير والاستغراق في ربنا وخالقنا ، والمسألة تبدو في البداية أنها خلاف بسيط في ألفاظ ، ولكنها في الحقيقة خلاف في لب القضية وخروج عن مقتضى التوحيد الواجب لله".

لقد فهم الدكتور مصطفى محمود الشفاعة على أنها إشراك لله في حكمه وإرادته وهذا فهم خاطيء ،لكنه يرجع إلى صدق عبوديته لله الواحد الأحد الفرد الصمد ، وليس كما قال عنه أحد العلماء الأزهريين : "لقد تجرأت يا دكتور مصطفى فابتعد فلستَ أهلاً للكتابة في الموضوعات الإسلامية ، لقد تجرأت على القرآن الكريم ، وأهنت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحتقرت الأئمة الأعلام ، وإني لأتمنى لك توبة " .

ونحن نؤكد أن الدكتور مصطفى محمود ما تجرأ على كتاب الله تعالى ولا أهان السنة النبوية الشريفة وما كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما احتقر الأئمة الأعلام ، وإن كان قد جانبه الصواب في بعض مناحي تفكيره فقد تاب توبة نصوحاً ونحسب عند الله أن حسناته الكثيرة العظيمة تكفر سيئاته القليلة غير المتعمدة .

***

الفصل الرابع

نبع الخير

(١) مسجد وجمعية مصطفى محمود

(٢) مجلة الرسالة

(٣) المركز الطبي والمراصد الفلكية ومتحف الجيولوجيا والأسماك

(٤) برنامج العلم والإيمان

مسجد وجمعية مصطفى محمود

رائد العمل الاجتماعي والخيري "جمعية محمود" التي أسسها في سبعينيات القرن الماضي ، وتضم حتى الآن خمسة مراكز طبية وتُعد من أكبر المراكز الخيرية ، تهتم بعلاج ذوي الدخل المحدود ، وأصرّ على أن تحتوي على أحدث الأجهزة الطبية ، كما أتاح بمركزه أربعة مراصد فلكية ومتحفا للجيولوجيا تضم أساتذة متخصصين يعطون دروساً في البحث والتجريب حول خلق السماوات والأرض كأحد وجوه العبادة ، وشكّل قوافل للرحمة من ستة عشر طبيباً .

افتتح مسجده سنة ١٩٧٦م والجمعية الخيرية افتتحت سنة ١٩٧٥م ، وبها قسم خاص بالخطابة والإمامة والندوات الدينية ، كل هذا تحت مسمى "قسم الدعوة" ، لجنة الخدمات تضم لجنة الزكاة ورعاية الأيتام والمرأة المعيلة والحالات الخاصة وطلبة الجامعة غير القادرين ، وهناك إعانات يومية ومعاشات شهرية ، وتعمل الجمعية طوال أيام الأسبوع ويوم الجمعة كذلك يكون عمل لجنة الخدمات وإدارة الدعوة على أشده .

الجمعية مسجد ورسالة

المسجد لإقامة الشعائر ، والرسالة هي الجمعية التي تعمل على توصيل العلم النافع والخدمات الصحية والثقافية والدينية .

يعمل في الجمعية موظفون بأجور ثابتة تصرف من الأنشطة الخاصة والروافد والودائع وذلك من مشروعات الجمعية كالمراكز الطبية المحتوية على العيادات ومعمل التحاليل الطبية وقسم الأشعة بجميع أنواعها ، وكل ذلك بأجور زهيدة .

وهناك مراكز طبية أخرى في أماكن أخرى تابعة للدكتور مصطفى محمود منها مستشفى بميدان لبنان يعمل على مدار اليوم والليلة على أعلى مستوى وبأسعار في

متناول الجميع ، مستشفى غير استثماري غير هادف للربح ، ومركز الكوثر ومركز طب العيون بالزمالك ومركز الإعلام .

جمعية مصطفى محمود خاضعة لقانون ١٩٨٤م وزارة التضامن الاجتماعي ، ولجنة الخدمات تصرف صكوك الزكاة في الجهة التي يحددها المتبرع : لمرضى الصدر ، لمعهد السرطان ، للأيتام لطلاب العلم .. إلخ .

كان ــ رحمه الله ــ ودوداً محباً لكل العاملين معه في الجمعية ، يعامل العاملين معاملة الوالد ويحتضنهم ولكن في المواقف التي تستدعي الحزم كان حازماً ومن يخطيء يعاقب وكان يكرم المتميزين في العمل سنوياً في عيد ميلاده ويمنحهم الجوائز ، فكان يحتفل بهم ويحتفلون به في قاعة الندوات المسماة باسمه في المركز .

كتبت على مكتبه لوحة (مدير المركز الإسلامي) ومازالت هناك إلى الآن مع أنه لم يكن محباً لممارسة العمل من وراء المكتب بل كان يتحرك في كل الاتجاهات في سبيل خدمة الجمعية ، وربما حدث عطل في أحد الأجهزة الخاصة بالأشعة ليلاً فيذهب بنفسه إلى المهندس المختص ويأتي به إلى المراكز ويظل معه إلى أن يتم إصلاح العطل ولو استمر العمل إلى مطلع الفجر .

مجلة الرسالة

أنشأ مجلة "الرسالة" وهي مجلة خاصة بالجمعية والمراكز وهدفها إرساء وسطية الإسلام وخدمة المجتمع ونشر الدعوة إلى الله وأسماها بهذا الاسم تشبهاً بالفيلم الديني (الرسالة) الذي منع الأزهر عرضه في وسائل الإعلام فكان الدكتور مصطفى محمود يعرضه على الطلاب الجامعيين وعلى رواد المركز في ذلك الوقت .

ومن أهم أقواله الحاثة على خدمة المحتاجين : لو صرفت أموال الزكاة لمستحقيها وتم التكافل الاجتماعي الذي شرعه الإسلام فلن نجد فقيراً واحداً .

كان يحلم بالمدينة الطبية المتكاملة وفيها :

ــ مدرسة تمريض تخرِّج ممرضات متميزات وواعيات .

ــ معامل بحثية للأمراض المزمنة تخرِّج كوادر طبية تخدم المجتمع بعلم وتفان .

وهناك بالجمعية قاعة للندوات تضم دروساً وندوات في كافة المجالات : الدينية والطبية والعلمية والثقافية ، بصفة مستمرة .

المركز الطبى

الأرض التي أنشئت عليها الجمعية والمركز تعدل المليارات ولكنه جعلها كلها خدمة لله والمحتاجين وللعلم وطلابه وتوفاه الله وهو لا يملك قرشاً في حسابه الخاص وكان ينفق جُلَّ ما يأتيه من إيرادات مؤلفاته على هذا المركز العظيم .

وكان الفقراء يحبونه حباً عظيماً فينتظرونه على باب المركز يومياً في ميعاد نزوله ليسلموا عليه ويفيض عليهم من نفحاته ، وقد يخرج بسيارته الخاصة لأماكن معينة يساعد أشخاصاً محتاجين دون أن يدري به أحد ، بل كان جيبه دوماً مليئاً بالمال لمساعدة كل من يقابله من محتاجين ومساكين .

المركز به مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، يتم فيه التحفيظ وتعليم القراءات العشرة والتفسير والتجويد ، ويعطي به إجازات للمحفظين لتحفيظ القرآن ونشر علومه ، وإمام المسجد يعين من قِبل الأوقاف بحيث يكون على مستوى لائق في التبليغ والعلم الديني والدعوة والإرشاد والفتوى .

بالمركز معمل للصوت والضوء فيه معمل للخلايا الضوئية ومعمل للصوتيات ، بالمركز أربعة مراصد فلكية ومتحف للجيولوجيا يقوم عليه أساتذة متخصصون ، ويضم المتحف مجموعة من الصخور الجرانيتية التي جمعها بنفسه في سفرياته المتعددة حول العالم ، وفراشات مُحنَّطة بأشكال متنوعة وبعض الكائنات البحرية ، كما

عُرضت في المتحف لمدة سنوات صخور من القمر استعارها المركز من الدكتور فاروق الباز ـــ العالم المصرى الشهير ـــ ثم رُدت إليه .

ومع كل هذه الإنجازات شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والدينية في أنحاء العالم ، وقد اختير عام ٢٠٠٣ من قِبل مؤسسة "السيرة الذاتية الأمريكية" كأعظم العقول في القرن الحادي والعشرين ضمن مائة وعشرين مفكراً من مختلف دول العالم .

برنامج العلم والإيمان

قدّم الدكتور مصطفى محمود أربعمائة حلقة تليفزيونية من هذا البرنامج الذي ظل يُعرض عشرات الأعوام ، وكان يتقاضى أجراً زهيداً من التليفزيون المصري عن الحلقة برغم أنه كان يصرف من جيبه على الأبحاث والسفر للخارج لجمع المعلومات الثمينة التي كان يقدمها في البرنامج ، إلى أن تبنَّى أحد رجال الأعمال إنتاج البرنامج ، ثم توقف دون إبداء أية أسباب .

وكان الدكتور مصطفى محمود يصر على عرض برنامجه فى الإعلام المصري لأن هذا الإعلام في رأيه رائد الإعلام العربي ، وقد أعيدت إذاعة معظم حلقاته بعد ذلك في العديد من القنوات الأرضية والفضائية ، ومازال إلى الآن يحظى بنسبة مشاهدة كبيرة يندر أن تتحقق لغيره من البرامج التليفزيونية .

ومن أهم سمات فكر الدكتور مصطفى محمود أنه كان يبحث قضاياه من المنظور العلمي المرتبط بالدين وليس من المنظور الديني المرتبط بالعلم ولهذا لم يعترض أحد على برنامجه (العلم والإيمان) .

ومن أهم الأفكار التي كان يقوم عليها برنامجه : فض الاشتباك بين العلم والإيمان ، وإيضاح أن الإسلام يعمل على إشباع الحاجات الروحية في الإنسان

وليس المادية فقط فليس ثمة انفصال بين ما هو روحي وما هو مادي ، فالإنسان كيان متكامل .

ويبدو أن هذا الأمر وراء أن يوقف جزءاً كبيراً من حياته في مشروع واحد اسمه (العلم والإيمان) بل لقد كان هذا الهدف في كل إنجازاته ومؤلفاته وليس في البرنامج فقط .

عرض سريع لمجلة الرسالة

المجلة سنوية تصدر عن لجنة الخدمات الاجتماعية بجمعية مسجد محمود بالمهندسين المشهرة برقم ٢٠٢٠ ، وقع اختياري على العدد السادس من المجلة الصادر في أكتوبر ٢٠٠٤ فوجدتها مجلة ثقافية دعوية طيبة وهدفها الأول خدمة المركز الإسلامي وخدمة العمل الخيري فيه فعرضت لمشروع تحت مُسمى : "مشروع ما لا يلزمك" ثم تحدثت عن الأضحية باعتبار أن التكافل في الإسلام حقيقة وليس شعاراً ، فما لا يلزمك قد يحتاجه غيرك ، وأوضح التقرير أن إجمالي تبرعات الأضحية في عام ٢٠٠٣ كان ٦٠٠ ألف جنيه من ١١٦٤ متبرعاً أنتجت لحماً صافياً ٣٣٥٠٠ كجم استفاد منها أكثر من ٢٢ ألف أسرة ، وذلك العدد في ازدياد مطّرد كل عام .

وعرضت المجلة في هذا العدد لفكرة "بنك الطعام" فقدمت القلوب الرحيمة وجبات للفقراء والمحتاجين طوال العام تحت ظل جمعية محمود .

كما تجد في العدد كذلك مشروع القرض الحسن حقق المعادلة الصعبة بتنمية قدرات المستفيدين وإيجاد فرص عمل جديدة لهم وتحويلهم من مستحقين للزكاة إلى مؤدين للزكاة ، وذلك كله بهدف القضاء على البطالة ، وحين تقدم الجمعية مشروعاً زراعياً أو إنتاجاً حيوانياً أو سمكياً لفلاح فقير تقدم له خبرات خبراء

الزراعة والإنتاج الحيواني من الخبراء المتطوعين في اللجنة ، وذلك في جميع أنحاء الجمهورية .

وعرضت المجلة كذلك في هذا العدد لـ "قافلة الخير" التي انطلقت في أسوان فأجرى الأطباء فيها ٦٦ عملية جراحية و٥٤٨ كشفاً طبياً في ٣٦ ساعة فقط ، والعمار الشامل هو عنوان هذه القافلة وشعارها هو :"إذا لم تزد في حياتك شيئاً للحياة اعتبرت زائداً عليها" ، وهذا هو نفس شعار جمعية مسجد محمود .

إن كل لبنة في جمعية مسجد محمود هي دعوة بل هي صحوة وصيحة لكل مسلم بأن لا يضع سقفاً لطموحاته طالما أنه متسلح بالإيمان ومتعلق بالرجاء من الله

كما تحتوي المجلة على العديد من المقالات الطبية والدعوية ، وفيها بيان بعدد الحالات التي صرفت معاشات شهرية والمبالغ المنصرفة (بالألف جنيه تقريباً) خلال الفترة من يناير إلى يونيو ٢٠٠٤، لكلٍ من الأيتام ومرضى الفشل الكلوي والسرطان والصدر والقلب والعجز والكبد وللطلاب في كافة المراحل التعليمية .

رئيس مجلس الإدارة في المجلة هو الدكتور مصطفى محمود والذي له المقال الأول بالمجلة ، نائب رئيس مجلس الإدارة والمشرف العام على لجنة الخدمات والمجلة الأستاذ الدكتور أحمد عادل نور الدين ، مستشار التحرير ثابت أمين عوّاد ، مدير التحرير محمد فؤاد مكاوي .

مراكز الدكتور مصطفى محمود

ـــ المركز الرئيسي بالمهندسين .

ـــ مركز الإعلام الطبي بميدان سنفكس .

ـــ مستشفى محمود بميدان لبنان بالمهندسين .

ـــ لجنة الخدمات الاجتماعية بالمسجد بالمهندسين .

ـــ مركز الكوثر الطبي بشارع جامعة الدول العربية بالمهندسين .

ـ مركز محمود لطب وجراحة العيون بالزمالك .

ـ مركز التدريب بميدان سفنكس .

***

الفصل الخامس

مصطفى محمود.. الإنسان

(١) الزوج والوالد والجد والصديق ورئيس العمل

(٢) الرحيل

(٣) كلمة لابد منها للمنصفين (خاتمة)

(١) الزوج والوالد والجد والصديق ورئيس العمل

كان الدكتور مصطفى محمود مثالاً يُحتذى على المستوى الإنساني فقد تجسد قدوة لكل من تعامل معه ، يطبق ما يدعو إليه من مثاليات وأخلاقيات الإسلام وتقدميات الغرب ، فقد اعترف في كتابه "المؤامرة الكبرى" أنه " يوافق بشدة على اجتهاد الشيخ محمد الغزالي رحمه الله وفهمه المستنير لأولويات الإسلام وكيف أن الأخلاق في الإسلام تأتي قبل العبادة ، فالأخلاق في الإسلام هي المطلوب الأول للمؤمن وهي شرط إيمانه ثم تأتي شعائر العبادة من ركوع وسجود وقيام لتكون الرسم والشكل المكمل ، ولكنها وحدها وبذاتها لا تعطي إسلاماً ، وإنما تعطي شكلاً خارجياً إسلامياً .

الإسلام ليس شكلاً ولا طقوساً فقط بل هو دين أعمال والأعمال فيه بالنيات والمنازل فيه بالتقوى ، أما الخذلقات التي نراها اليوم في شباب يسرف في إطالة اللحى وتقصير الجلابيب وحمل المساوك والحوقلة بالآيات والصدور مطوية على حقد والقلوب موصدة على غل والنيات مبيتة على عدوان ، تلك الديانة الجديدة المتداولة لا تدخل تحت بند الإسلام وإنما تدخل تحت بند آخر هو بند التآمر وتدبير الانقلابات والصراع على السلطة والتكالب على المناصب وحيازة الدنيا ويستطرد فيقول : " تغيير النفس إذن هو مطلب الدين ، وتزكية الأخلاق هي مراده ، وهذا ما قاله نبينا صلى الله عليه وسلم : (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق) : الأخلاق هي الإسلام ".

وهكذا عاش مصطفى محمود مع جميع من عرفهم وخالطهم ، سواءً أفراد أسرته أو من عملوا تحت إدارته في مشروعاته الخيرية أو أصدقاؤه ومحبوه أو حتى الفقراء والمحتاجين من رواد جمعيته ، منذ عمل بمستشفى الصدر في بداية تخرجه من كلية الطب وتخصصه بالأمراض الصدرية وحتى وصوله إلى نقابة الصحفيين وعمله مع الأستاذ الراحل الأديب إحسان عبد القدوس ، حين عرض عليه مائة جنيه ليعمل

بالصحافة فقط حين أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قراراً بمنع الجمع بين وظيفتين، منذ تلك الآونة والكل يُجمع على حبه وتقديره لطيب معشره ودماثة خلقه ولطيف شمائله وعطفه على الصغير وتوقيره للكبير وتواضعه الجم وحُنوه على الضعفاء وبذله وإحسانه وكرمه ، لقد كان إنساناً بكل ما تحمله كلمة الإنسانية من معان ، صبوراً بكل ما تحتمله لفظة الصبر طوال حياته .

***

تزوج الدكتور مصطفى محمود مرتين ، الأولى كانت السيدة سامية شاهين أم إبنيه أمل وأدهم والتي تعرف عليها بعد تتويجها ملكة جمال مصر وكانت إبنة لواء في الجيش ، وعاشا في البداية في منزل أمام المتحف الزراعي ، ثم انفصل عنها بعد خلافات متكررة نشأت عن أسباب شتى ، منها غيرتها الشديدة عليه واختلاف الثقافات والميول والطباع ، فقد كان كمفكر وفيلسوف يعشق العزلة والخلوة والتفكير والتأمل ، أما هي فكانت كنجمة مجتمع تفضل الحياة الاجتماعية الصاخبة والسهر والحفلات ، فانفصلا عام ١٩٧٣وظل الابنان في حضانتها لكن الوالد مصطفى محمود لم تنسه مشاغله الكثيرة مسئوليته تجاه ابنيه الكريمين فكان يُسبغ عليهما من عطفه ورعايته ومظاهر أبوته حتى كان يصحبهما معه في كل رحلاته داخل وخارج مصر .

وبعد الانفصال بسنوات تزوج الدكتور مصطفى محمود للمرة الثانية من السيدة زينب حمدي عام ١٩٨٢ودام الزواج سنتين وشهرين ثم انفصلا للاختلاف في المشارب كذلك ، فإن السيدة زينب لم تُطق حياة العزلة والتفرد التي يعيشها الكاتب والعالم والزاهد مصطفى محمود فتم الانفصال بهدوء ، وعاش بقية عمره في محراب العلم متبتلاً يستلهم الهدي والإيمان من كتاب الله ويخدم الإسلام ويدفع عنه سهام الأعداء والحاقدين والماكرين من الشرق والغرب ، وينقي الفكر الإسلامي مما علق به من

شوائب وعلائق سامة بسبب جهل أبنائه وكيد أعدائه ، ويفني أوقاته في رعاية حقوق المجتمع والناس عليه في جمعيته وبرنامجه (العلم والإيمان) بنشر الوعي الديني والإيماني وربطهما بالعلم الحديث وتفتيح الأذهان وتنوير البصائر والعقول .

كل ذلك لازمه مشرب صوفي رائق المنبع ظهر في كلامه عن الله والرسول صلى الله عليه وسلم وعن الحياة الفانية والباقية وعن الأولياء الصالحين وتأملاتهم وعبراتهم ومناجاتهم لله الواحد الأحد ، وشاركهم في تلك المناجاة والتأملات في خلوته وكتابته وتبتله وجهاده بالمال والدعوة والعلم ونشر الفضائل ومكارم الأخلاق وخدمة المجتمع ، مقتدياً بالأولياء الكبار في الوقوف مع الشعوب المتعبة المضناة ضد الغلاء والاستعمار والفساد والانحراف العقدي والأخلاقي ، ملتزماً في كل ذلك بالوسطية فهي أساس من أسس الإسلام ودِعامة من دعاماته وركيزة من ركائزه متفائلاً بغد مشرق للدين والأمة جمعاء ، بل والبشرية كلها بمنظوره الإنساني الخالد .

وقد اهتم بكل النواحي فلم يأخذه منحى من آخر ، اهتم بنشر الثقافة والعلم النافع ودعّم الإعلام المرئي بأعمال درامية ومسرحية تهدف إلى توسيع المدارك في مجال العلم والطب وعلم الاجتماع والنفس ، بل ومعالجة القضايا الشائكة في العلاقات الاجتماعية للفرد والأسرة والجماعة الكبيرة .

وكان على علاقة حسنة بأهل الفن النبيل وليس الفن الهابط بالأخلاق والأعراف والقيم والدين والإنسان ، فصادق الموسيقار الراحل محمد عبد الوهاب واكتشف الأستاذ المطرب محمد ثروت وهو المطرب المبدع في الأغاني الدينية والوطنية المبتعد عن الإسفاف بشهادة أهل الذوق الرفيع .

وكان معتدلاً في كل تفكيره والدليل على ذلك ابتعاده التام عن مثيرات الفتن الطائفية ومما يثبت ذلك علاقته الحميمة بالمفكر الأستاذ لويس جريس زوج الفنانة الراحلة سناء جميل.

وقد حرص في مجال عمله الخيري على إقامة علاقات طيبة مع جميع مرؤوسيه أطباء ودعويين وموظفين وعمال حتى لهج الجميع بالثناء الحسن عليه فقد كان ودوداً حنوناً حازماً عند الضرورة دون تعسف أو تضييق على أحد ، يقدر الشباب وجهوده ومواهبه ويثري فيهم حب العمل والكفاح والبناء والجهاد من أجل خدمة الدين والوطن والمحتاجين .

ومع كل ذلك الجهد رفض أية مناصب عليا عُرضت عليه فقد عرض عليه الرئيس جمال عبد الناصر منصب وزير الإرشاد القومي فرفض بأدب جم قائلاً له : " أنا كبيري أمسك ورقة وقلم وأكتب مقالاً صحفياً وليس أن أكون وزيراً " ، كما عرض عليه الرئيس أنور السادات منصب وزير الثقافة فقال له في ظرف بالغ وحسن تخلص وكياسة تشهد له وتُحسب في صفه : " أنا لم أعرف أن أحكم بيتاً فكيف أحكم وزارة ؟!" .

فلم يكن يحب المناصب ولا الشو الإعلامي بشهادة مرؤوسيه ، وكان متواضعاً زاهداً في المظاهر والرفاهيات فلم يركب في حياته إلا سيارتين الأولى موديل ١٩٦٥وظلت معه فترة طويلة حتى عرضها للبيع فاشتراها منه سائقه الأسطى حجاج بألف جنيه فقط سنة ١٩٨١، ثم كانت السيارة الأخرى مرسيدس موديل ١٩٨٢واستمرت معه حتى وفاته ، وتقودها ابنته أمل حالياً .

وكان شديد التعلق بأحفاده وخاصة سبطه ابن ابنته (محمود) وكان يعاملهم بمنتهى الحنان والطيبة ، ومم أثر عنه أن الناس كلهم على اختلاف مشاربهم وطبقاتهم كانوا أصدقاءً له ، وذلك شاهد أكيد على دماثة خلقه وتطبيقه للتواضع والحكمة في التعامل مع الناس ولحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (الدين المعاملة) .

الرحيل

بعد رحلة العمر الطويلة والجهاد الدائم الدائب المستنير رحل عالمنا وفارسنا الدكتور مصطفى محمود (خادم كلمة لا إله إلا الله) كما قال عن نفسه مفتخراً بذلك سعيداً شاكراً لله على نعمتي العلم والإيمان .

وودعت الجماهير العريضة المحبة للدكتور مصطفى محمود ذلك الفارس النبيل الذي ترجل عن فرسه تاركاً لهم الدنيا بما فيها من معارك وشكوك وزخارف تافهة حقيرة راحلاً إلى الله الذي كتب عنه وناجاه واشتاق إليه مخلفاً وراءه صدقة جارية وعلماً يُنتفع به وولداً صالحاً ــ بل أولاداً صالحين ــ يدعون له .

وكما يقول عبد الحفيظ العمري : "كان نائماً في سكينة تامة لم يستيقظ منها ، العالم الكبير رحل في هدوء" ، بهذه الكلمات القليلة نعت ابنة الدكتور أباها العظيم إلى الناس في يوم السبت الموافق ٣١ أكتوبر ٢٠٠٩م لتطوى صفحة من تاريخ عالم شغل الناس طيلة الخمسين عاماً الماضية من هذا الزمان بعلمه وأفكاره وتأملاته وجهوده .

رحل ولم يدافع عن نفسه مرة واحدة ضد أولئك الذين لم ينصفوه ولم يتفهموا حقيقة شكوكه التي يسعى من خلالها إلى تمكين الإيمان في نفسه ، ليكون من الذين قال المولى عز وجل فيهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) ﴾ الحج .

فرحمك الله يا دكتور مصطفى يا ابن الأشراف وجعلك في زمرة العلماء العاملين المؤمنين المخلصين الذين وصفهم القدير بأعظم الصفات التي يُنعت بها المؤمنون ألا وهي الخشية فقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ﴾ فاطر.

ونلقاك على خير في يوم العدل الأعظم ويوم الرحمات العظمى ، يوم يُوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء ، يوم ينفع الصادقين صدقهم ، وأنت قد صدقت في حياتك مع ربك ومع الناس وأبغضت الكذب والكاذبين والنفاق والمنافقين ، ونحسبك كذلك وعلى نزكي على الله أحدا ، فرحمك الله يا فيلسوفنا الحائر وقد وصلت الآن إلى شاطئ النجاة .

***

كلمة لابد منها المنصفين .. [خاتمة]

(الحق أبلج) ، (الحق أضوأ من الشمس) .

بهاتين الكلمتين يوزن الرجال الذين يبذلون أعمارهم وثمار عقولهم في خدمة الحق ، فرجال الحق هم الباقون في ميزان الله وجعبة التاريخ حين تطوى السنوات تلو السنوات وتنتهي المعارك ويبدأ الزمن في سرد الأحداث ، هناك تبلو كل نفس ما أسلفت ، هناك ينطق الحق وحده قائلاً بصوت يهز الأخشبين : (دولة الحق ورجال الحق قائمة وقائمون إلى أن يرث اللهُ الأرضَ ومن عليها ، وتبقى كلمات الحق وأربابه في ذاكرة الأمة بعد أن تبتلع الأرض أراجيف الباطل وترهاته ونزقاته وأوهامه) ، وقد كان الدكتور مصطفى محمود من رجال الحق الذين عُرفت أقدارهم عند ذوي الألباب وحفر التاريخ بمداده أسماءهم في صفحاته نوراً من نور الحق تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧) ﴾ الرعد ، وتبقى يا دكتور مصطفى محمود من الذين قال الله فيهم : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨) ﴾ النور .

وفي الختام أهدى كلمة

لكل من يبحث عُمره عن الإنصاف فأقول :

لا ينبغي لمن يعشق العدل والرحمة معاً أن يزن الرجال أولي الفضل بهفواتهم ، بل ينبغي للبيب الذي يعرف الحق أن ينصف كل من يهب الدنيا السلام والحق والفضيلة وأن لا يقيسهم بذلك المقياس الذي يقاس به السفهاء والغوغاء ، وأن يعرف لكل عالم قدره ولكل مصل قيمته وإلا فعلى الدنيا السلام .

سمية عبد الحليم عويس

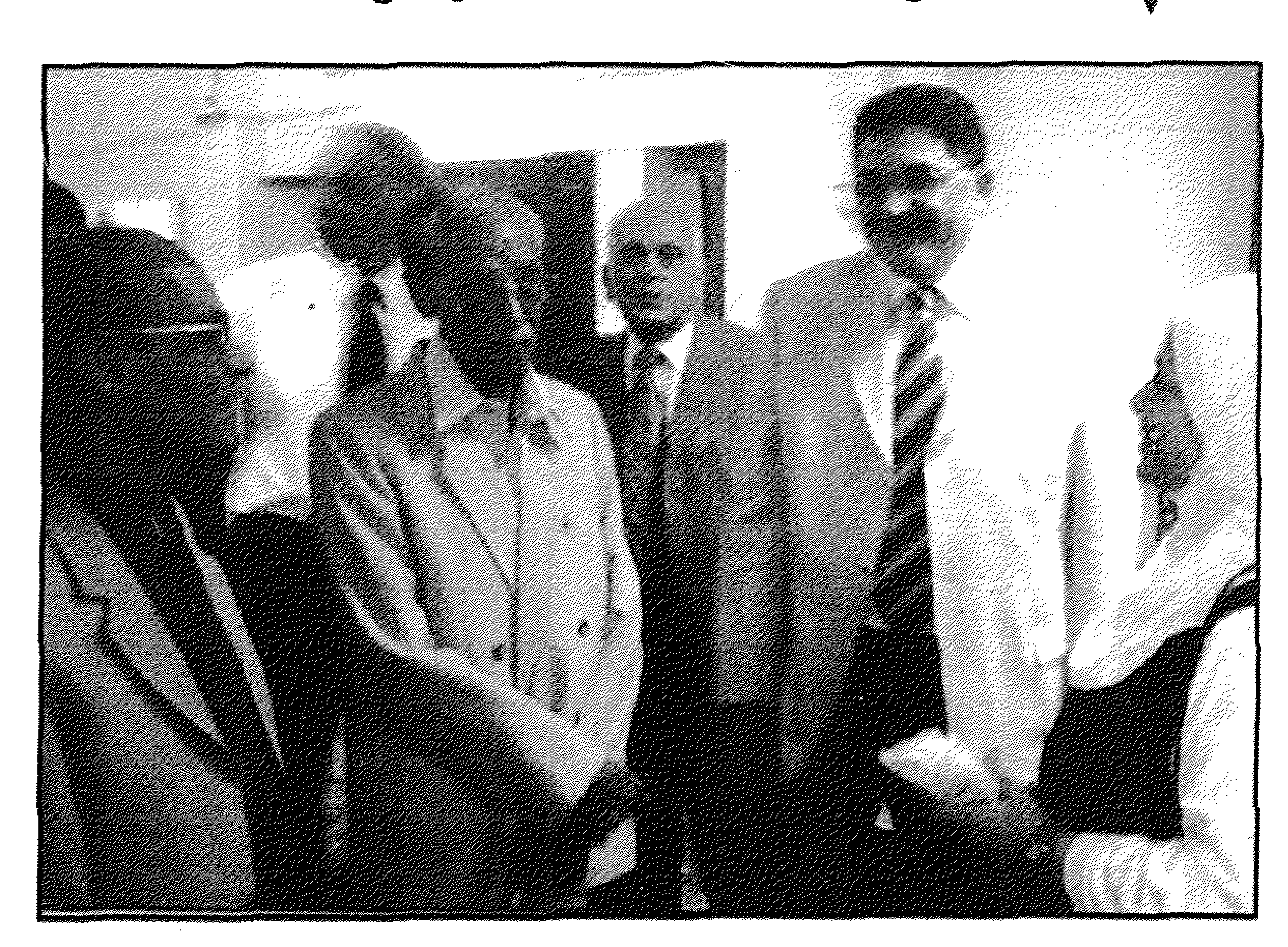
(محبة الحق ورجاله)

٧ /١٢/ ٢٠٠٩م

الملاحق

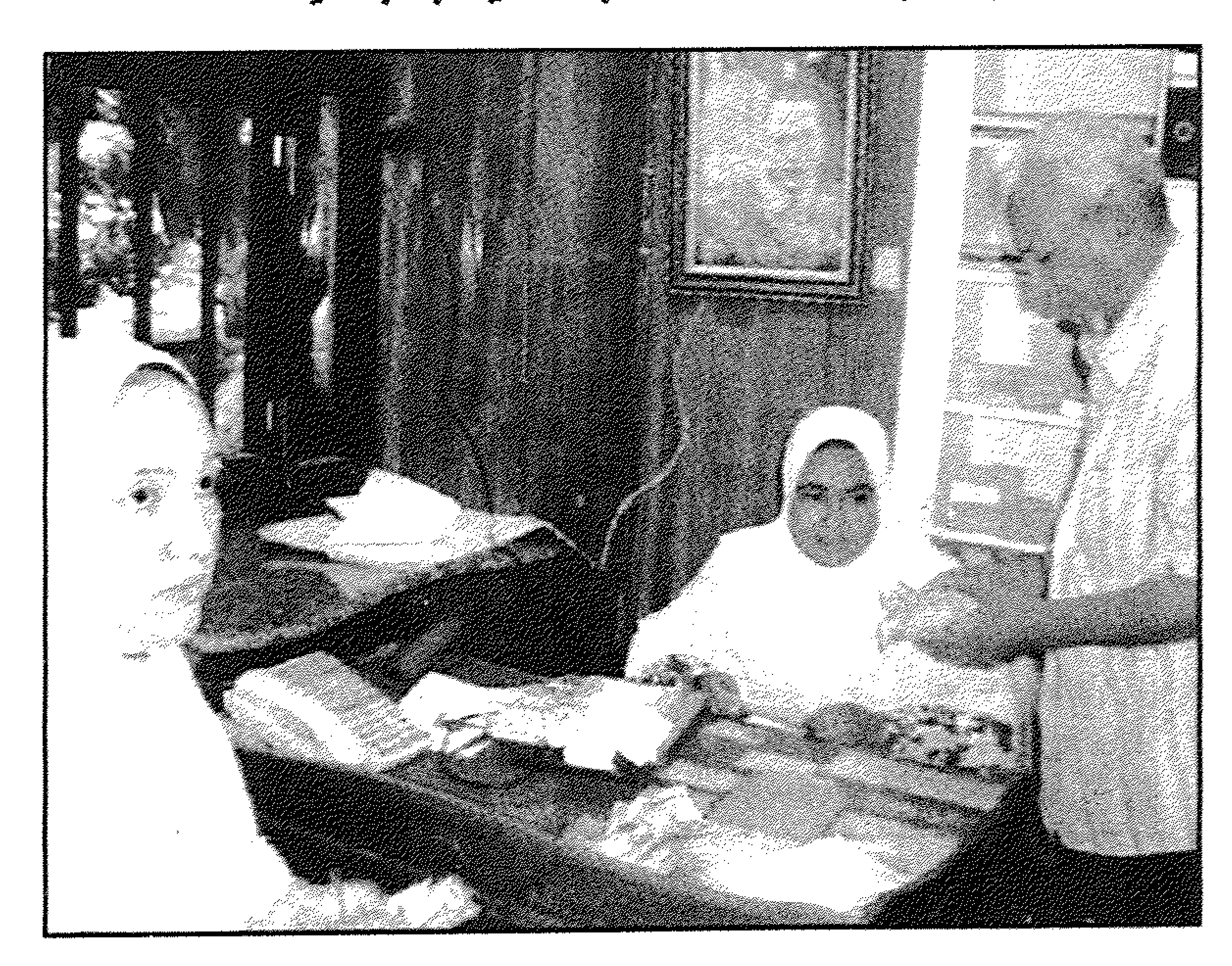


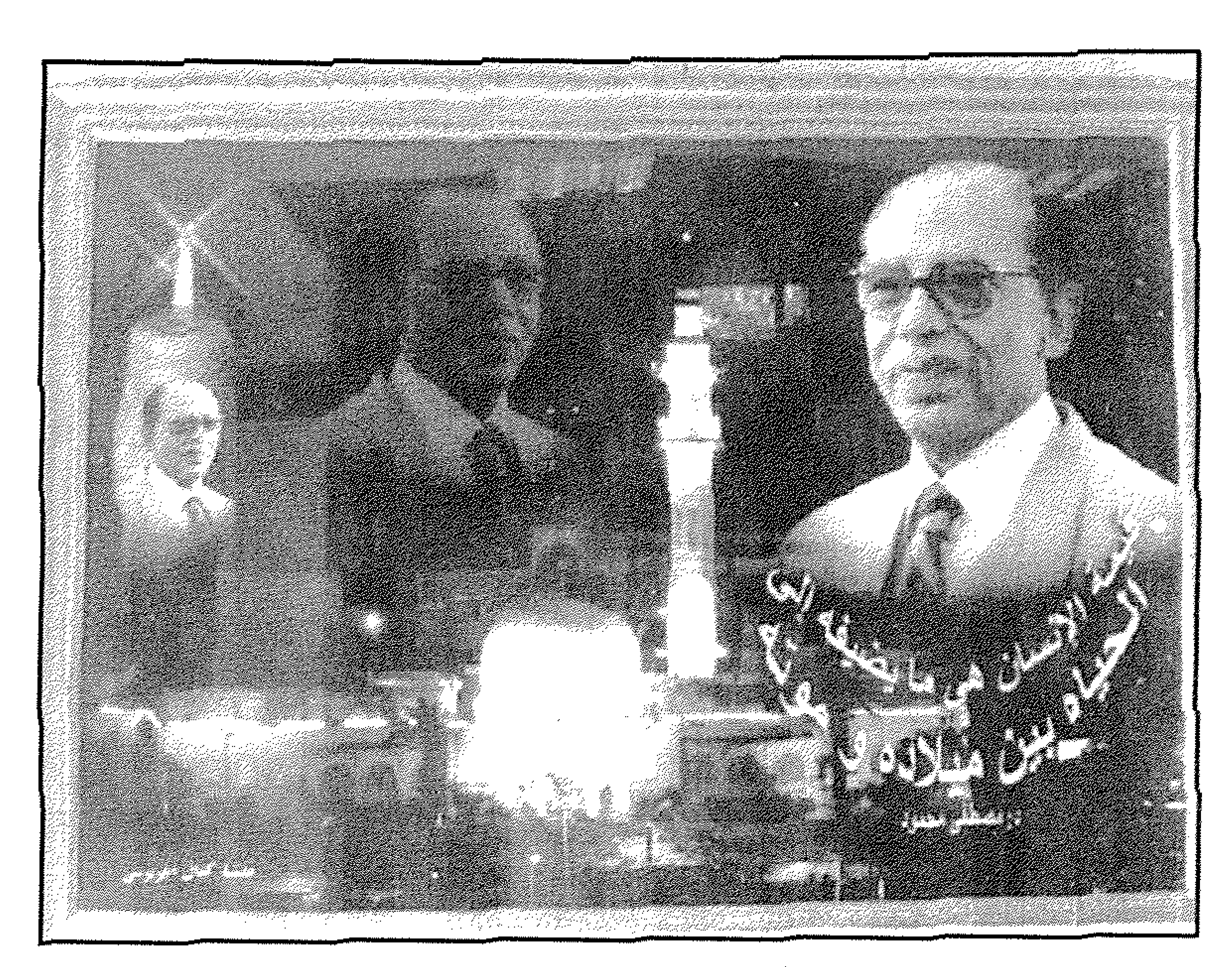
صورتان تجمع د.مصطفى محمود
مع بعض العاملين معه فى نبع الخير



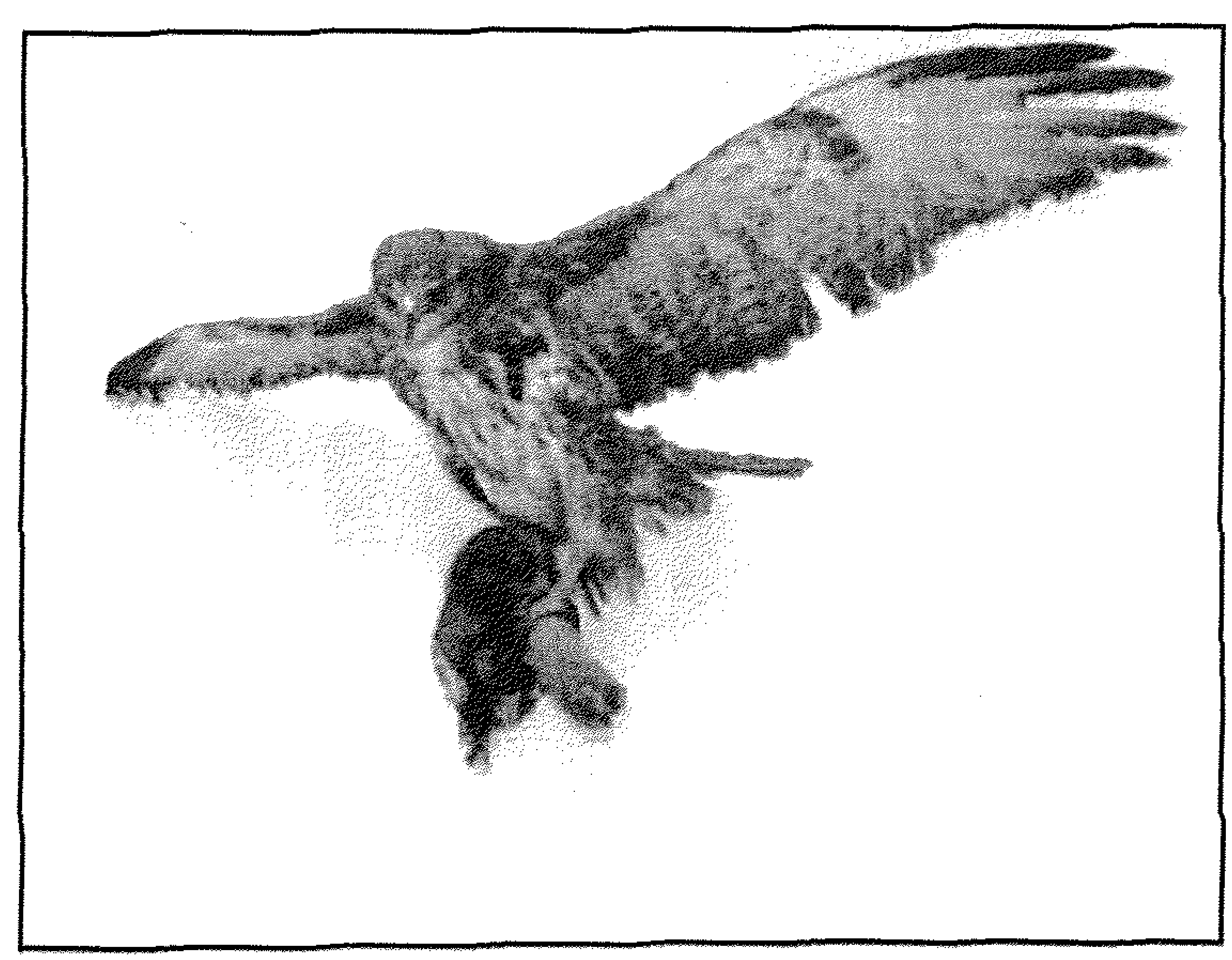


صورتان لجمعية محمود بالمهندسين
حيث لجنة الخدمات الاجتماعية بالجمعية

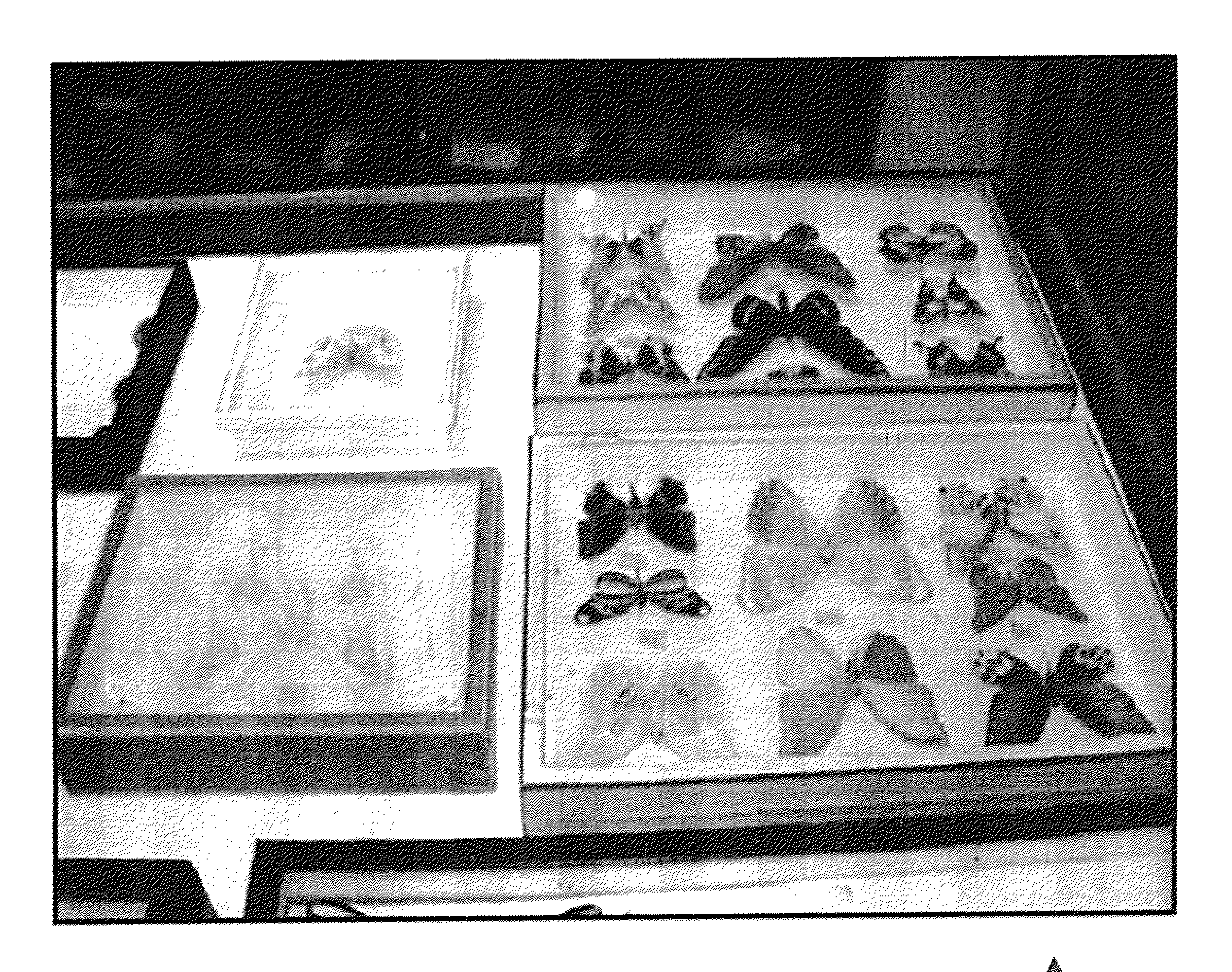




لوحة لقول مأثور للدكتور مصطفى محمود
معلقة داخل جمعية محمود

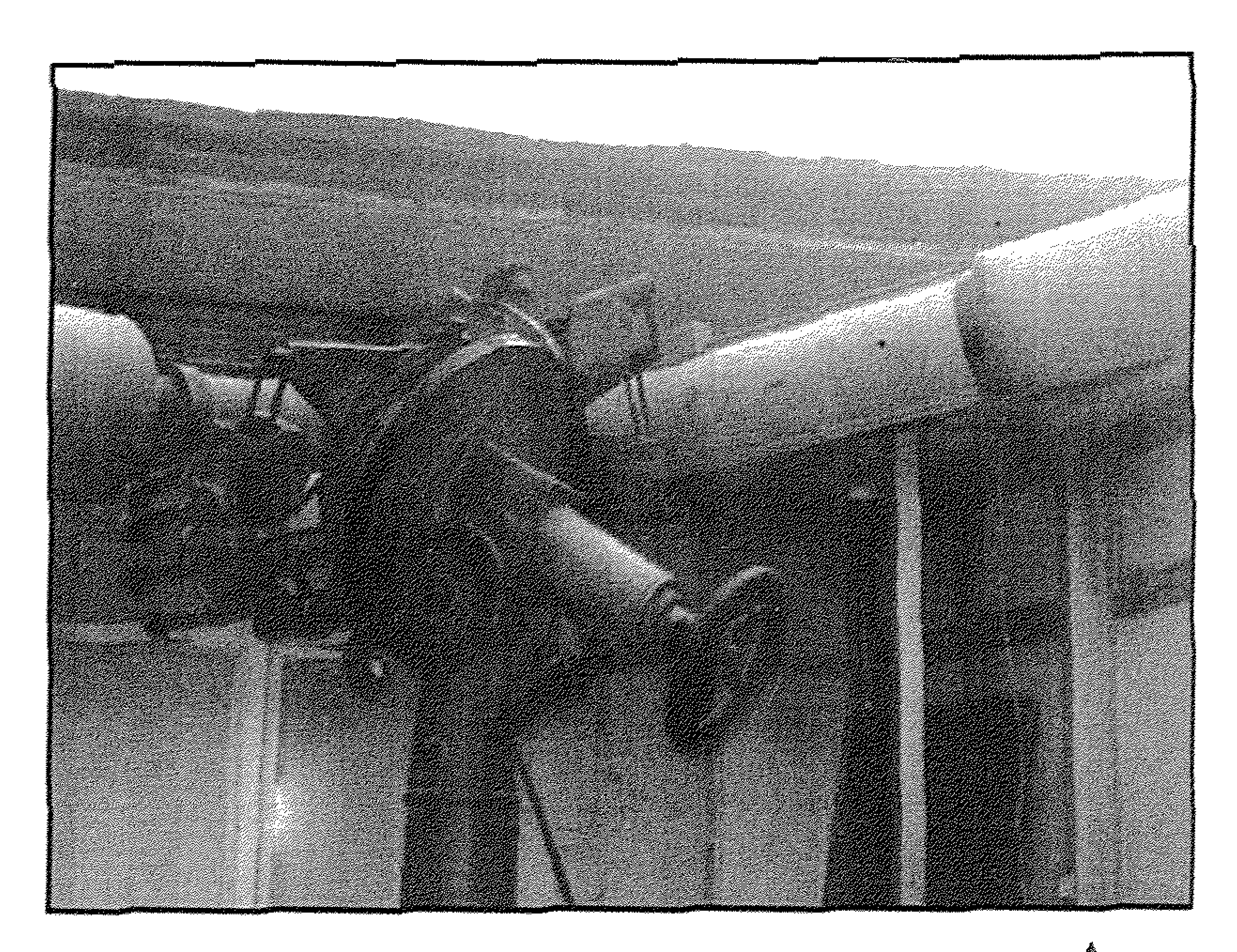


لوحة معلقة بمتحف الطيور تحمل صورة لطائر

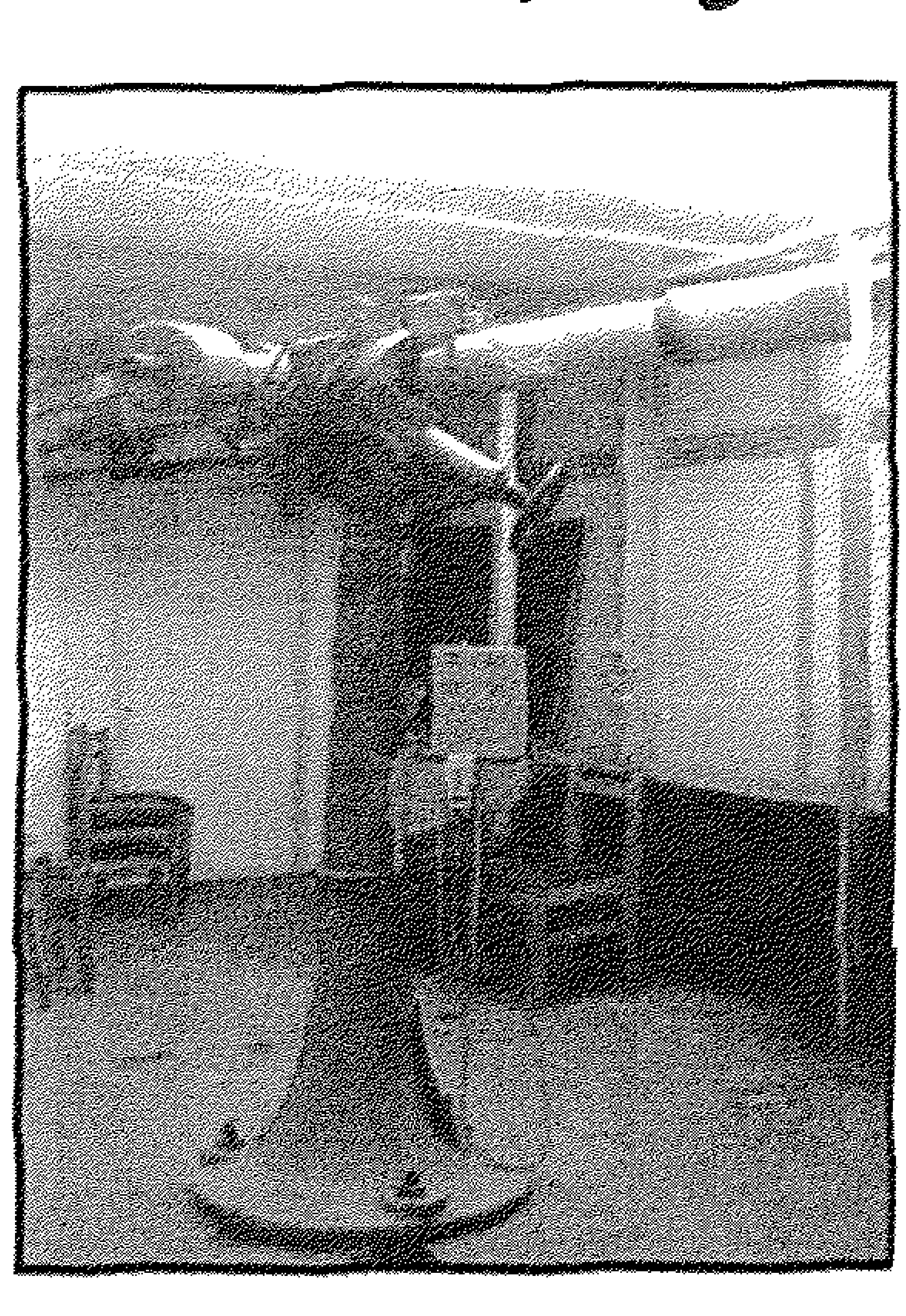


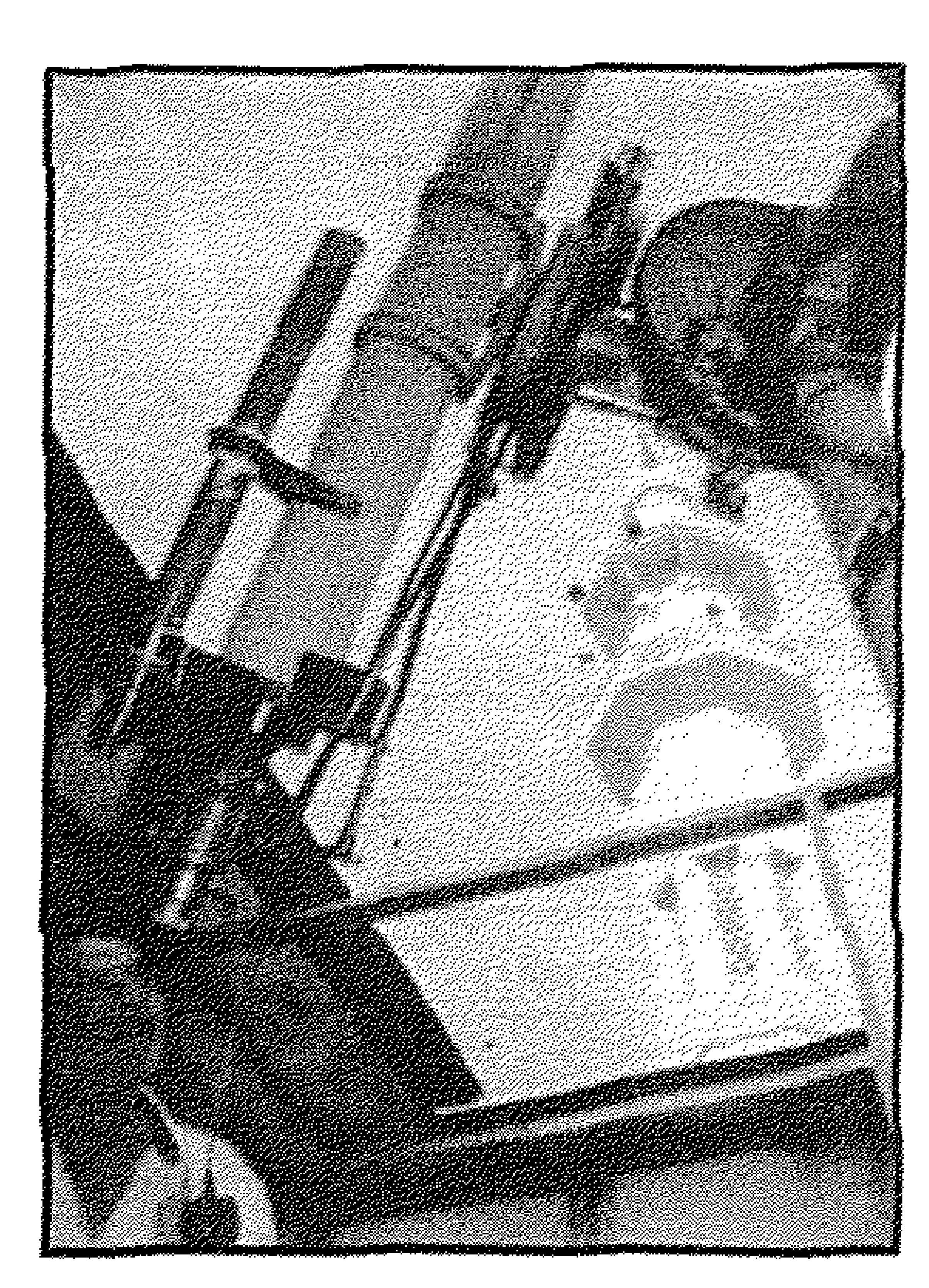
صورتان من متحف الحشرات

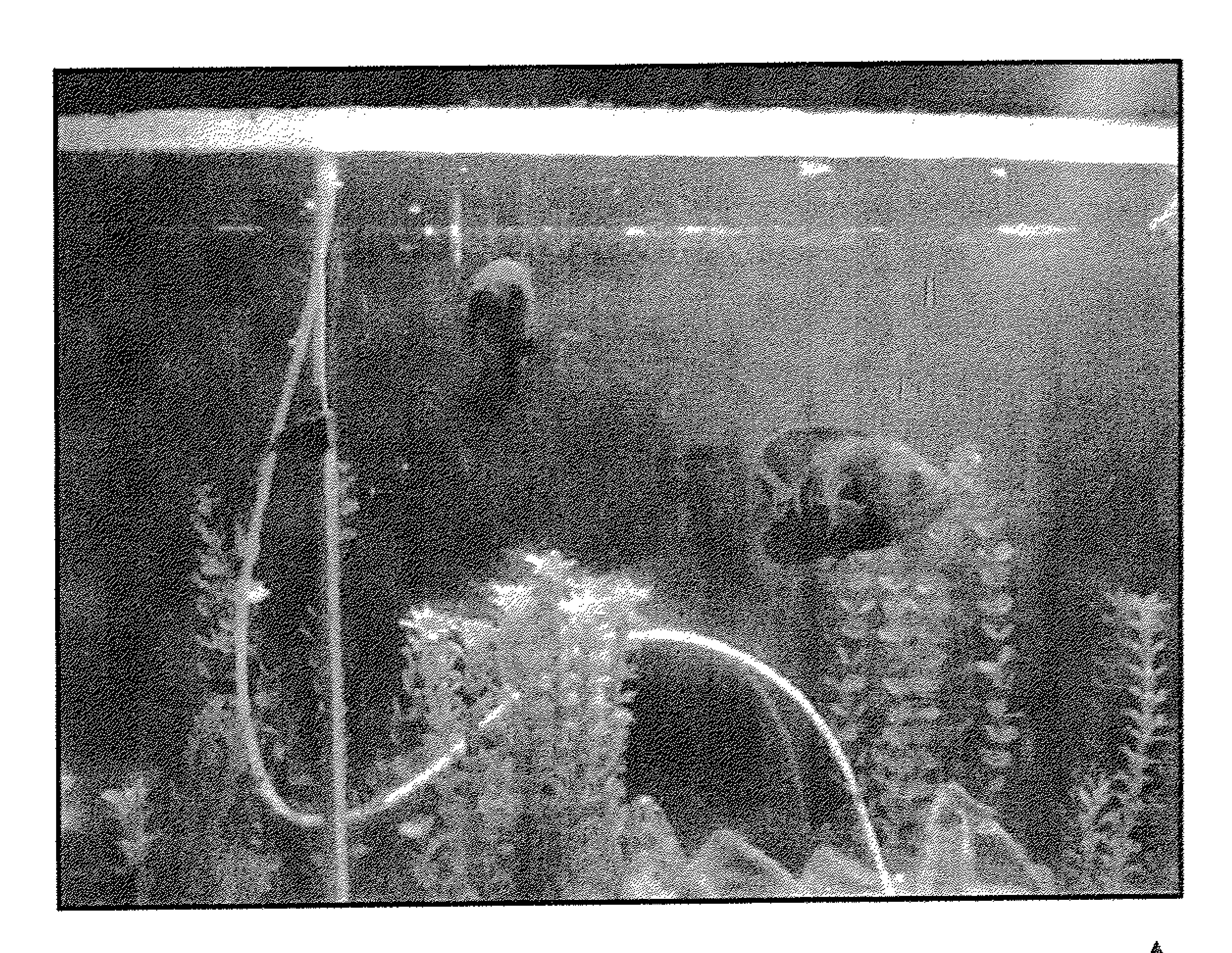




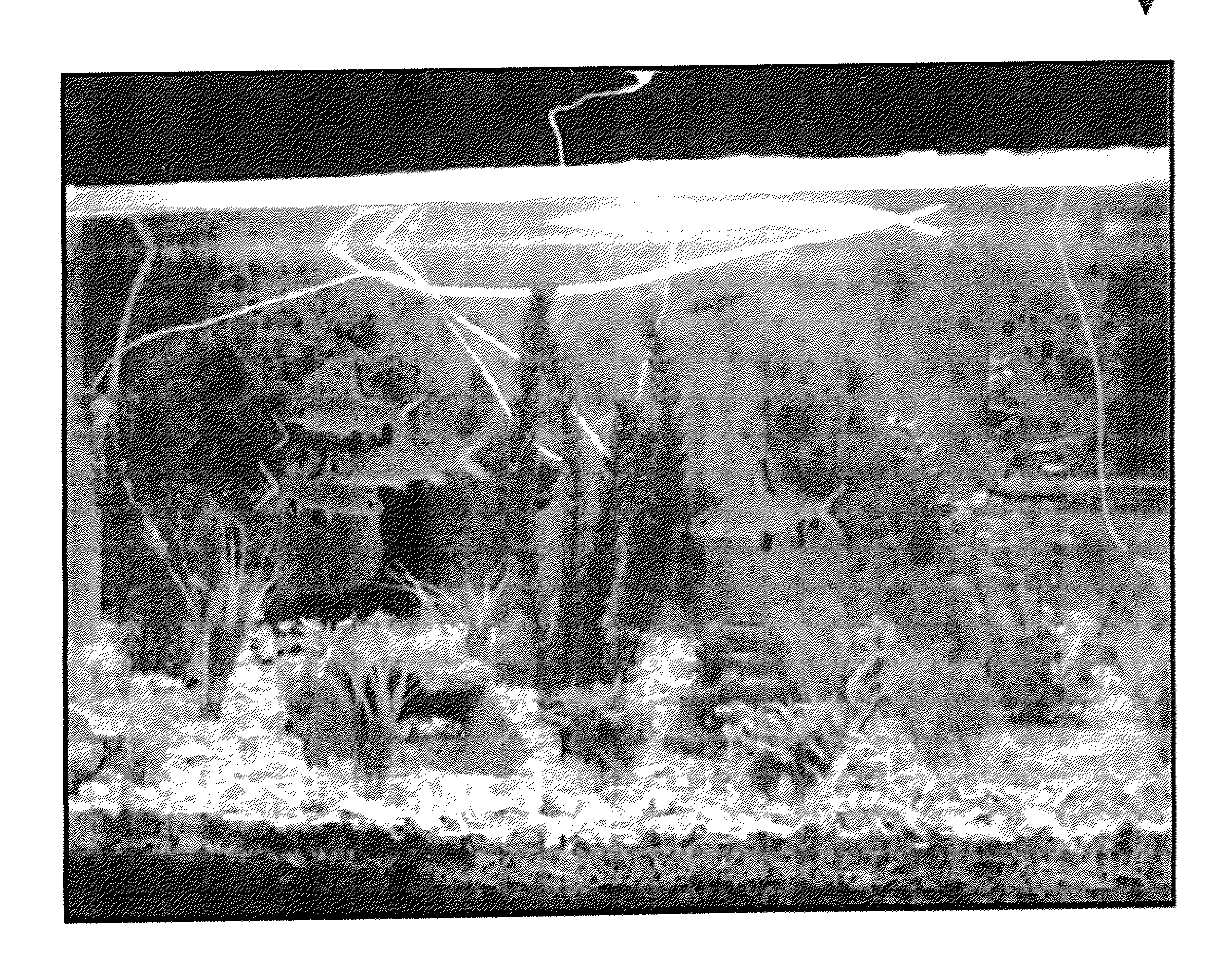
صور مبهرة للمراصد الفلكية
التى أنشأها د.مصطفى محمود

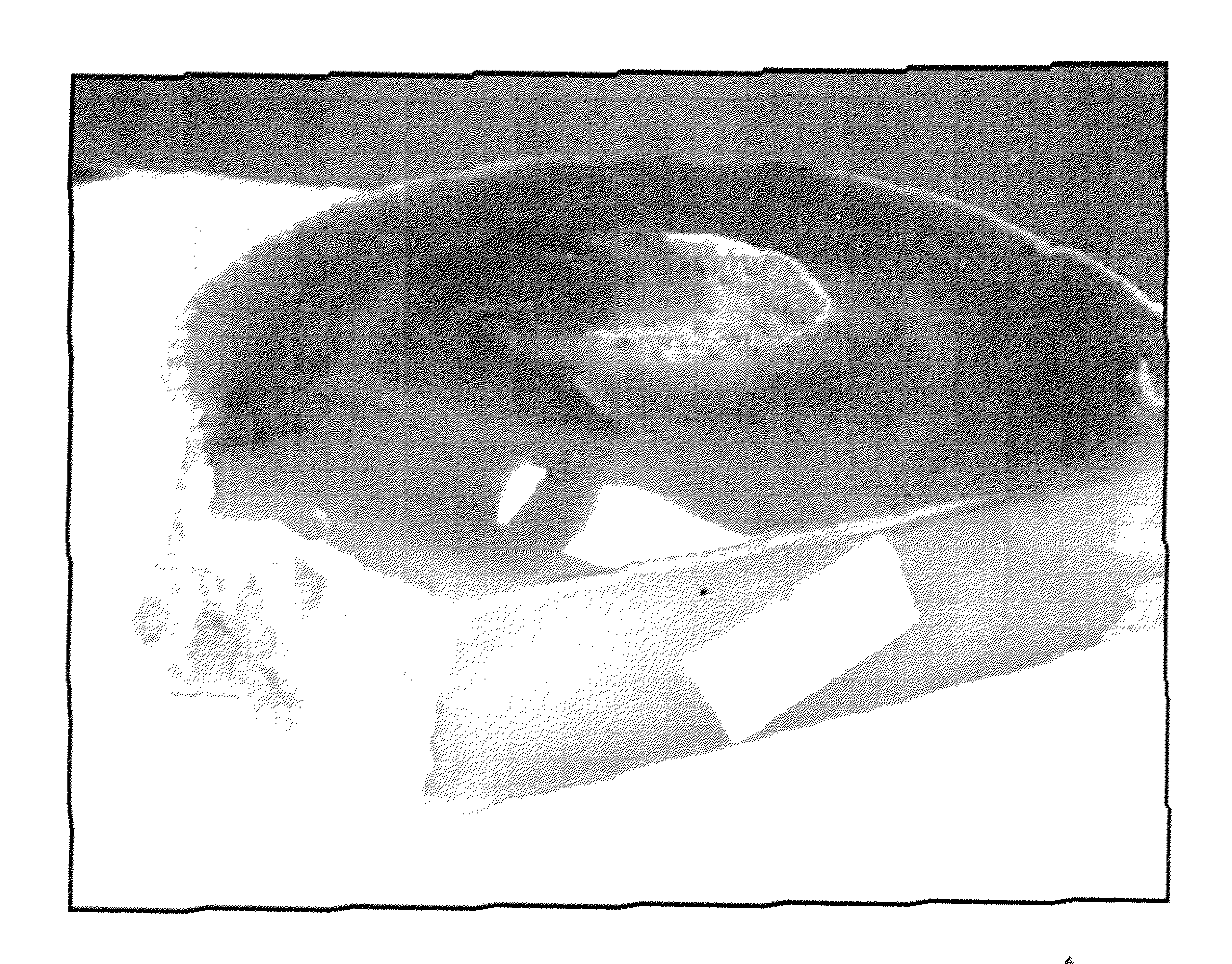




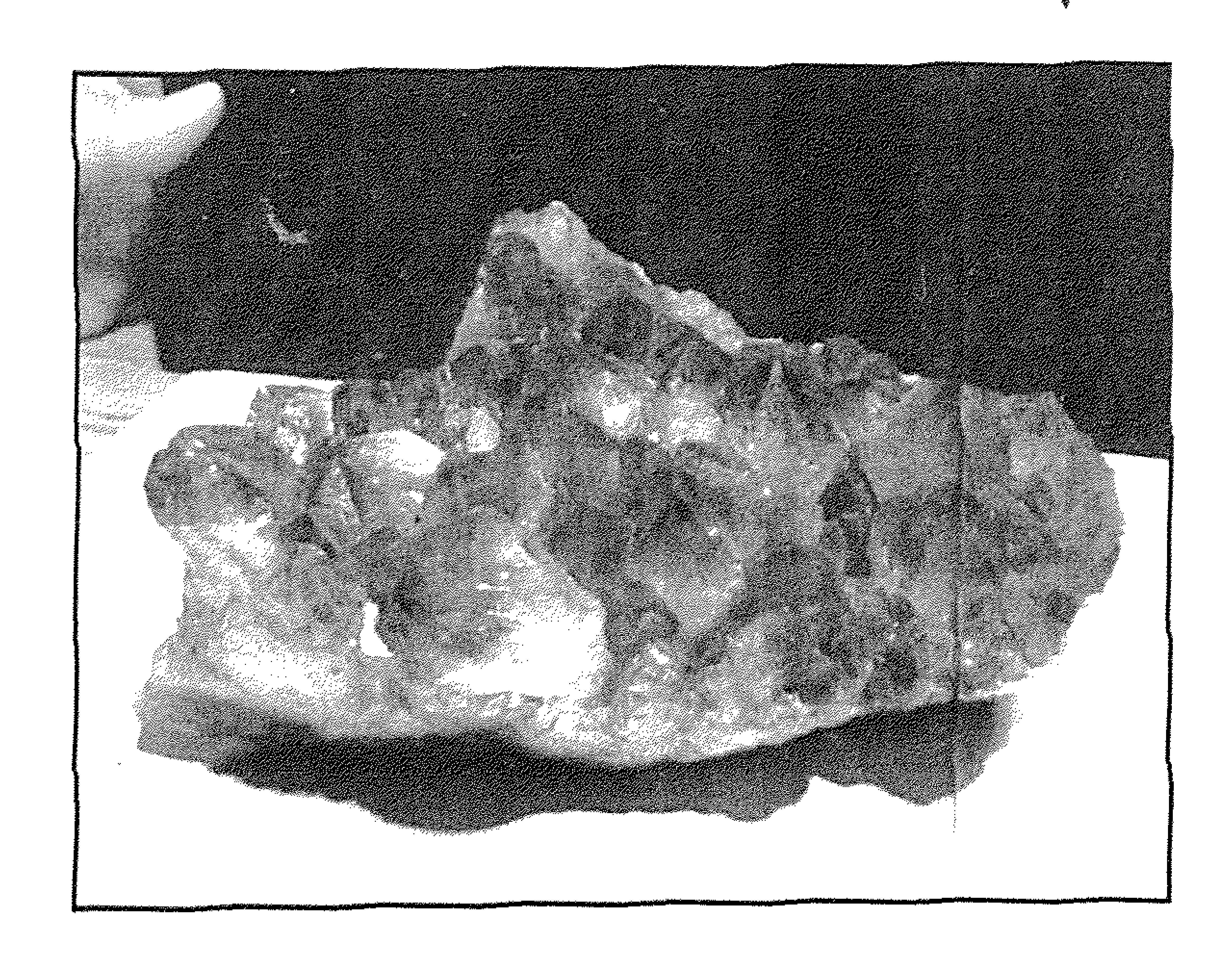


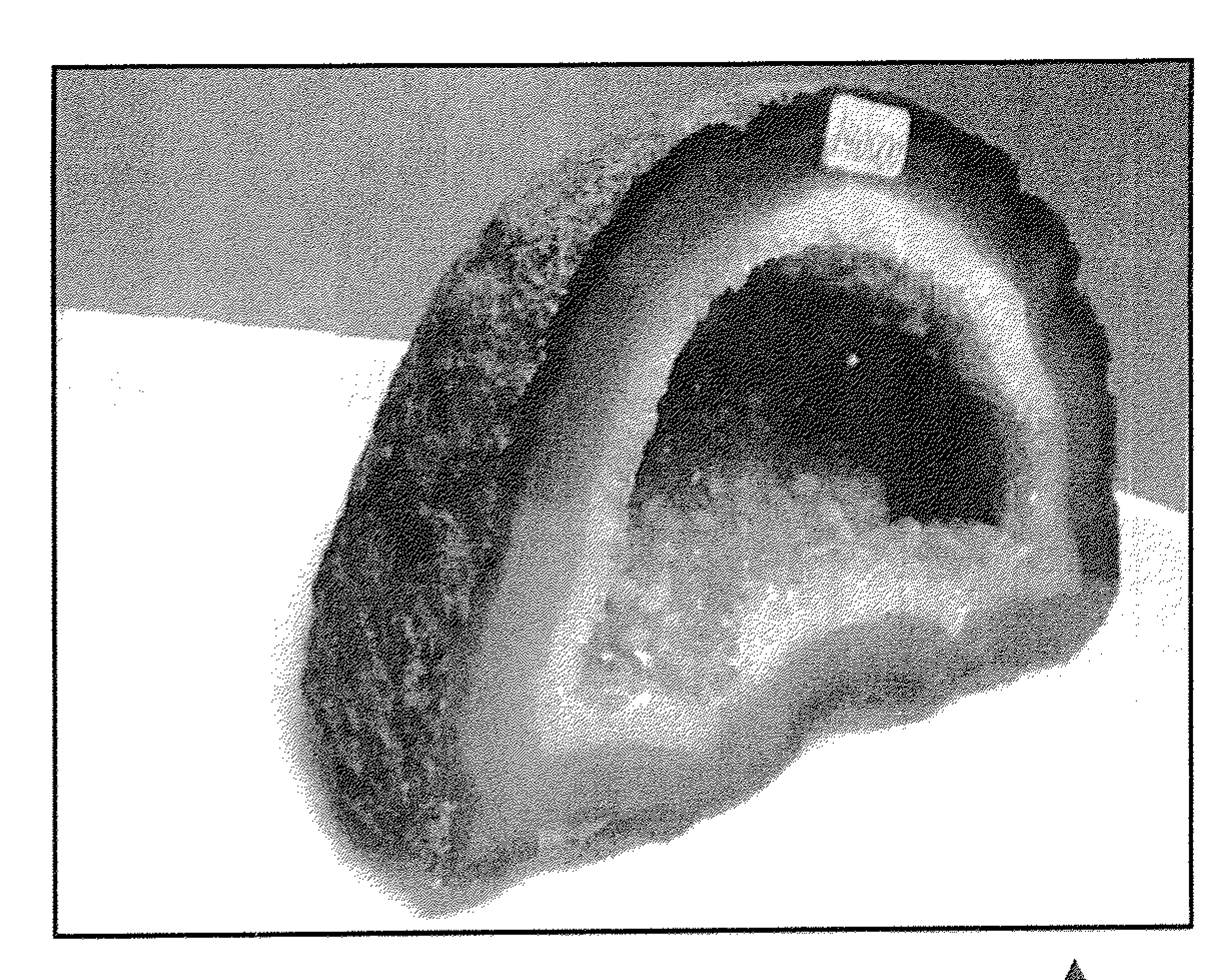
صور من متحف الكائنات البحرية بجمعية محمود





صور لصخور من سطح القمر





صورتان لصخور جرانيتية



شكر خاص

أتوجه فى نهاية كتابى بشكر خاص لكل من ساعدنى على إنجاز فصوله ، خاصة فصل نبع الخير ، وعلى رأسهم الأستاذ شريف الجندى المسئول الإعلامى لمراكز الدكتور مصطفى محمود ، وجميع الفريق المساعد الذى يتميز بالإنسانية وحب العمل الخيرى والتعاون فيما بينهم .

كما أقدم شكرى لكل من بذل جهده فى نشر هذا الكتاب الذى بذلت فيه جهدا قصيا ليخرج إلى النور .. والسلام .

الكاتبة

المراجع والمصادر

١ــ مؤلفات الدكتور مصطفى محمود ط : دار أخبار اليوم .

٢ ــ الشبكة العنكبوتية .

٣ ــ حواراتي مع مصطفى محمود : الأستاذ محمود فوزي دار هاتيه للنشر .

٤ــ بحث ميداني .

٥ــ القرآن والتفسير العصري : الدكتور عائشة عبد الرحمن سلسلة اقرأ : دار المعارف بمصر .

٦ــ إنكار الشفاعة : جمع ودراسة وتحقيق عبد الله حجاج مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة .

***

المؤلفة فى سطور

سمية عبد الحليم عويس

ـ مواليد ١٣يناير١٩٧٢م الكويت .

ـ تخرجت من كلية الآداب جامعة عين شمس قسم اللغة العربية وآدابها سنة ٩٣م

ـ عضو رابطة الأدب الإسلامى .

ـ كاتبة بمركز الإعلام العربى .

أهم مؤلفاتها :

ـ أمهات المؤمنين العشرة المبشرون بالجنة ـ دار العبيكان بالسعودية .

ـ هكذا عرفت الله (رواية) .

ـ صراخ الصمت (مجموعة قصصية) .

ـ قطار الأيام (مجموعة قصصية) .

ـ في الصيف السابع والثلاثين (خواطر) دار الكلمة بالقاهرة .

ـ لقاء النفوس (فلسفة حياة) دار البشير بالقاهرة وطنطا .

ـ في أودية الحرمان (مجموعة قصصية) .

ـ في القفص الذهبي .. صولات وجولات .

ـ حدثنى الإمام الشافعى ـ دار المعارف .

ـ كيف أخرج من العاصفة بسلام ـ مركز الإعلام العربى .

ـ غريب فى المدينة (قصص طويلة) ـ دار بوب بروف .

ـ قلوب ظامئة (ثلاث مجموعات قصصية)ـ دار بوب بروف .

ـ الجنة الموعودة (مجموعتان قصصيتان) ـ دار بوب بروف .

ـ رحلة في ذاكرة الأمة (مواقف من التاريخ الإسلامي) ـ تحت الطبع .

ـ صور حضارية من تراثنا العربي ـ تحت الطبع .

ــ لحظات في حب الله (تصوف) ــ تحت الطبع .

ــ أطواق النجاة (تنمية بشرية) ــ تحت الطبع .

ــ في اللحظات الأخيرة (حسن وسوء الخاتمة) ــ تحت الطبع .

ــ حديث العقول (مقالات) ــ تحت الطبع .

التواصل :

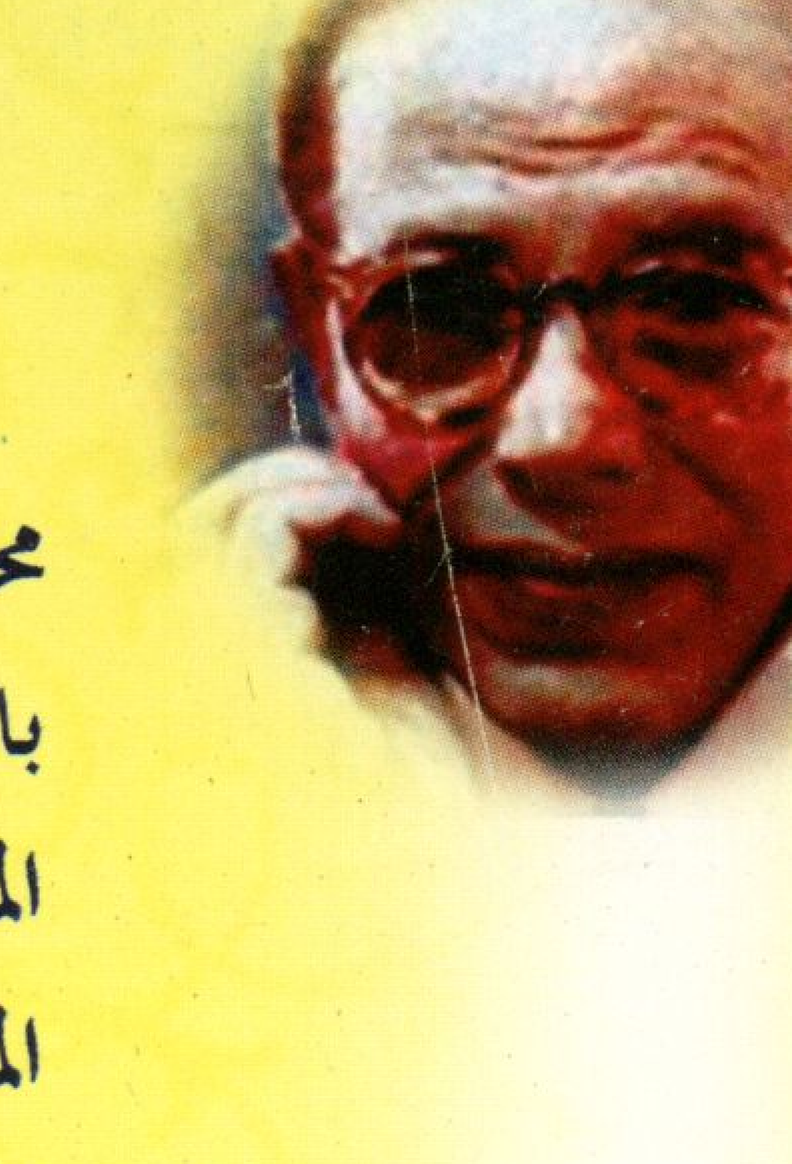
somyahaleem@yahoo.com

الموقع الإلكترونى :

www.khodwhat.com

***

الفهرس	الصفحة



هذا الكتاب

معظم الناس لا يعرفون عن الدكتور مصطفى محمود سوى أنه صاحب مسجد مصطفى محمود بالقاهرة وبرنامج العلم والإيمان بالتليفزيون المصرى..وقليل هم من يعرفون أنه واحد من أبرز المفكرين الذين كانت لهم بصمة واضحة فى إثراء المكتبة العربية والإسلامية بالعديد من المؤلفات الهامة التى تقوم على البحث والتحقيق والتحليل وتستند إلى التأمل فى ملكوت الله .. بالإضافة إلى إسهاماته العلمية والخيرية التى تنتصر للإسلام دين الله فى الأرض .

وفى هذا الكتاب تقتح الكاتبة سمية عبد الحليم عويس نافذة تطل منها على حياة مفكرنا وعالمنا الكبيرعلميا وفكريا وإبداعيا واجتماعيا
رحلة حياته وسيرته الذاتية منذ مولده
وكتبه وآراءه فى الدين والحياة ومعارك
وموقفه من الصهيونية..إلى غير ذلك مم
قيمة هذا المفكر والعالم الكبير كرمز م
مصرنا الحبيبة .





pop professional press